الخَصَائِصُ السِّياقِيّة والبَيَانِيّة لِـ (إنَّ) وجُمْلَتِهَا فِي سُورَةِ المُزَّمّل

أ.م .د: صكر خلف عواد
جامعة كركوك / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

مُلَخَّصُ الدِرَاسَةِ

اهتمت هذه الدراسة أولا ، بالجانب النظري في خصائص (إنّ) وجملتها ، وكان ذلك باستعراض آراء العلماء حول خصائص (إنّ) من تثقيل نونها وتخفيفها، وكسر همزتها وفتحها ، وإعمالها وإهمالها ، وكذلك استعراض الخصائص السياقية لجملتها من ذكر وحذف وتقديم وتأخير لعمدها وفضلاتها ، ثم الانتقال ، ثانيا إلى الجانب التطبيقي ، الوصفي والاستقرائي لـ(إنّ) في (سورة المزمل) ، والنظر في خصائصها ، لاستخراج وظائفها النحوية والبيانية لها ولجملتها الداخلة عليها في السياق القرآني ، وقد رصدنا لها في سورة المزمل إحدى عشرة جملة ،جعلنا لكل واحدة منها مبحثا مستقلا ، تتبعنا فيه أقوال العلماء والمفسرين ، ثم استخرجنا الوظيفة النحوية والبيانية لها ولجملتها من سياقاتها .

Abstract

The current study deadls with the theoretical background of aspects of (inna) and its clause . The is done through reviewing the views of the linguists about stressing or unstressing the (noon) of (Inna), putting fatha above or kasta under it , whether it has a function or not and reviewing the contextual aspect of its clause concerning ellipsis or maintenance , preposing and postpopsing its core and subsidiary elements .

Secondly ,the practical part tackled the description of (Inna) in (Al-muzzaml) sura ,looking at its aspect to extract the grammatical and rhetorical functions of it and its clause in the Quranic context . we found eleven clause of (Inna) in (Al-muzzaml)Sura Each one of these clauses is dealt with in a separate section surveying views of scholars and Quran interpreters then we extracted the grammatical

and rhetorical functions of (Inna) and its clause from these contexts .

المُقَدّمةُ

((الحَمْدُ للهِ الذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجَاً)) (الكهف: ١) فجعله كتاباً قيماً للبشارة والإنذار لا يأتيه الباطل من كل جهة من جهاته ، لأنّه من لدن حكيم خبير ، لذا فهو معجز في كل تفصيلاته وأجزاءه ، ابتداء من أصواته مرورا بمفرداته وانتهاء بجمله وتراكيبه ، وهذا مما جذبني واستهواني نحوه منذ بدء مشواري العلمي فأخذت أتصفح وأتأمل وأبحث في معانيه اللغوية ووجوهه النحوية متذوقاً عصاراته البيانية التي استخرجها علماؤنا الأجلاء ، ومن خلال النظر في أقوالهم التقيت بقول لعملاق علم البيان الشيخ الجرجاني – رحمه الله تعالى – في (دلائل الإعجاز) ، فبعد أن بحث وقلّب في وجوه (إنّ) وجملها وتراكيب تلك الجمل في القرآن الكريم ، وأقوال العرب شعرا ونثرا ، قال: ((وليس الذي يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق والأمور الخفية ، بالشيء يدرك بالهوينا)) (١) ،فعزمت بعدها أن أُنشيء دراسة مصغرة أتطلع من خلالها على وظيفة (إنّ) وتراكيبها ، وتراكيب جملتها ، والوظيفة النحوية والسياقية لها ولجملتها ، مركزا في ذلك على الجانب النظري ، ثم الانتقال منه إلى الجانب التطبيقي ، وهو ما نأمله أن يكون جديدا في هذه الدراسة ، وقد كان النص القرآني ميدان تطبيقنا ،لأنّه أفصح وأبلغ نص عربي ، وقد اخترنا منه (سورة المزمل) تحديدا ، لأنّ ما فيها من مواضع لـ(إنّ) بأشكالها المختلفة ما يناسب حجم دراستنا ، وقد ارتأينا بعد النظر في الموضوع أن نقسم عملنا فيه إلى: مقدمة وتوطئة ومبحثين اهتمت التوطئة بالحديث عن أقسام الكلام في النحو العربي ، سميناها بـ((أقسام الكلام في العربية))،أمّا المبحثان ، فقد كان الأول منهما نظريا ، والثاني تطبيقيا ،خصصنا الأول منهما للنظر في خصائص (إنّ) وجملتها عند العلماء والدارسين في العربية ، ثم خصصنا الثاني منهما بدراسة (إنّ) وجملتها في السياق القرآني وبيّنا فيها تراكيب (إنّ) ، وتراكيب جملتها في سورة (المزمل) ، ثم استخرجنا وظيفة (إنّ) ، ووظيفة جملتها وعصارتها البيانية من سياقاتها المتعددة ، وقد أعقبنا ذلك بخلاصة لهذه الدراسة ،نسأل الله فيها التوفيق والسداد ،ونسأله تعالى منها الأجر والثواب ما سال مداد على ورق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تَوطِئَةٌ فِي
أَقسَامِ الكَلَامِ فِي العَرَبِيّةِ

عِنْدَمَا قَسّمَ المُختصون بالعربيةِ الكلمَة إلى: اسمٍ وفعلٍ وحرف وضعوا شروطَ وخصائصَ كلٍ منها محاولة منهم لفصل هذه الأنواع الثلاثة ضمن حدود وضوابط لتمييزها عن بعضها بعضاً، لكنّهم بعد هذا الفصل وجدوا أنّ هناك أمورا أو خصائص مشتركة وأمورا متداخلة بين هذه الأقسام فأجبرتهم هذه الظاهرة على إيجاد مصطلحات تجمع بعض هذه الأقسام من هذه المصطلحات على سبيل المثال ، مصطلح (اسم الفعل) ، ومصطلح (الأحرف المشبهة بالفعل) ، فهذه المصطلحات تجمع خصائص مشتركة بين قسمين من أقسام الكلام العربي ، وحديثنا هنا عن خصائص المصطلح الأخير، وهو (الأحرف المشبهة بالفعل) ، وهي عند سيبويه خمسة أحرف (٢) ، لأنّه جعل (أنّ) المفتوحة الهمزة فرعاً من (إنّ) المكسورة الهمزة (٣) ، ومن حججهم في ذلك :إنّ الجملة مع المكسورة الهمزة غير مؤولة بمفرد ، ومع المفتوحة الهمزة تؤول بمفرد (٤) ، وهي عند كثير من النحويين ستة أحرف هي (إنّ – أنّ – ولكنّ – كأنّ – ليت – لعلّ) ، ومن خصائص هذه الأحرف أنّها تدخل على الجملة الاسمية فقط ، أو هي من خصائص الجملة الاسمية ، وإنّما سميت هذه الأحرف بالأحرف المشبهة بالفعل لأمور ثلاثة :

الأول :شبهها بالفعل في البناء ، في بنائها على الفتح في أواخرها كالفعل الماضي الذي يبنى على الفتح إن لم يتصل به شيء .

الثاني : شبهها للفعل في المعنى ، أي وجود معنى الفعل في كل واحد من هذه الأحرف ، فإنّ التأكيد في (إنّ) ، و (أنّ) ، والتشبيه في (كأنّ) ، والاستدراك في (لكنّ) ، والتمني في (ليت) ، والترجي في (لعلّ) ، هي معان من معاني الأفعال (٥) ، ولذلك سماها سيبويه بالأحرف التي تعمل عمل الفعل (٦) .

الثالث :شبهها للفعل في العمل، أي في تأثيرها الإعرابي ،فإحداثها النصب في اسمها هو تأثير كتأثير الفعل في مفعوله ،ومن المعلوم أنّ هذه الأحرف تنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها (٧) ، وعليه فليس من الصواب أن نقول: إنّها حروف ناصبه ، لأنَّها في الحقيقة ناصبة للمبتدأ رافعة للخبر،أي عاملة في الجزأين ، على رأي البصريين ، وعلى رأي الكوفيين ناصبة للاسم ولا عمل لها في الخبر، وإنّما هو باق على رفعه الذي كان له قبل دخول (إنّ) وهو خبر المبتدأ(٨) .

ونستطيع القول :إنّ هذه خصائص ذاتية لهذه الأحرف ، وهناك خصائص أخرى لهذه الأحرف ذاتية وسياقية ، سنذكرها من خلال كلامنا على خصائص الحرفين المؤكدين (إنَّ) و(أنّ) في محاور خصائصها الآتية .

المَبْحَثُ الأولُ

خَصَائِصُ إنّ وَجُملَتِهَا فِي العَرَبِيّةِ

١ – في خصائص تركيبها:

(إنّ) و(أنّ) حرفان يفيدان التوكيد ، وقيل : إنّهما حرف واحد وهو الأرجح عند سيبويه لأنّه جعل الأحرف المشبهة بالفعل خمسة أحرف على عدّ (إنّ) و(أنّ) حرفاً واحداً (٩) ، لكن الهمزة تأتي مكسورة في مواضع ومفتوحة في مواضع أخرى(١٠) ، ومنهم من فرق بينهما لما لاحظه من اختلاف بينهما في البناء والسياق والدلالة ، وأقوى حجة لهم هي :أنك ((لو صرحت بالمصدر المنسبك منها لم تفد توكيدا))(١١) ، وقد ذكر المالقي هذا الخلاف في كتابه (الجنى الداني) وردّ على هذا الاستشكال(١٢) ، وفرّق الدكتور مهدي المخزومي بينهما فجعل (إنّ) مؤكدة ناسخة ، و (أنّ) ليست للتوكيد ، وليست عاملة ، ولكنّها أداة وصل ، وواسطة تعبير تستخدم لتصنع من الجملة التي لم تكن – في تركيبها – لتكون مبتدأ أو فاعلا أو مضافا إليه مثلا جملة تقع في موضع المبتدأ والفاعل والمضاف إليه (١٣) ،وقال في موطن آخر من كتابه : ((ويجمعون بين (إنّ) و(أنّ) ،ومعناهما مختلف ،ووظيفتهما مختلفة ،فإنّ :أداة توكيد ، و(أنّ) أداة وصل ، أو موصول حرفي ،ولا دلالة لها على التوكيد البتة ،و(إنّ) تقع في صدر الجملة ، و(أنّ) تقع في أثنائها ، وليس هناك من جامع يجمعهما)) (١٤) ونحن في هذه الدراسة ستكون نظرتنا لـ (إنّ) وصفية لأبنيتها و دلالاتها في سياقاتها اللغوية والقرآنية واختلاف تلك السياقات ، وعلى هذا الأساس نرى أنها أربعة أحرف هي : (إنّ) و(أنّ) و(إن) و(أن) ، وسيكون كلامنا لاحقا عنها على أنّها حروف تختلف صورها ودلالتها وخصائصها السياقية حسب السياق اللغوي والقرآني ، وحسب ما يقتضيه المعنى .

تُعَدُّ (إنَّ) من ناحية التركيب من الثلاثيات ،أي ثلاثية الأحرف ، بمعنى: إنَّها تتكون بنيتها من ثلاثة أحرف أصلية (١٥) ،هي : الهمزة ، ونون ساكنة ، ونون متحركة بالفتح (أَنْنَ

) فأُدغمتا مع بعضِهِمَا فأصبح تركيبُها (إنَّ) من غير حذف أو زيادة (١٦) ، و(إنَّ) هذه مبنيّة على الفتح ، بمعنى أنّ حركة آخرها لا تتغير بتغير موقعها من الجملة .

ومن خصائص (إنّ) في همزتها إنّ حركة همزتها تكون الكسر أسفل الألف (إنّ) ، وقد تلفظ بالفتح (أنَّ) وذلك يكون بحسب موقعها من الجملة وبحسب نوع الجملة المقترنة بها ، ولذلك أحكام تفصله كتب النحو لا مجال لذكرها هنا لكن نوجزها بشكل عام ونقول: إنّ هذه الأحكام تنضوي تحت حكم عام وهو أنّها إذا جاءت في بداية الكلام أو الجملة فإنّها تكسر ، وإذا جاءت في وسط الكلام ، أو الدرج فإنّها تفتح ، وقد يجوز الوجهان في حالات خاصة فأنت بالخيار بينهما (١٧) ، ومنهم من قال : ((يتعين الكسر حيث لا يجوز أن يسد المصدر مسدها ومسدّ معموليها ، ويتعين الفتح حيث يجب أن يسد المصدر مسدّها ومسدّ معموليها ،ويجوز الوجهان إذا تعددت الاعتبارات بحيث يصح تقدير وقوع المصدر موقعها مع معموليها ويصح عدم تقديره)) (١٨) ، ومن خصائص همزتها أنّ من العرب من يبدلها عينا وجعلوها لغة لقيس وتميم ، ونقلوا في ذلك قولهم : أشهد عن محمدا رسول الله ، ونقلوا شواهد من الشعر لذلك من شعر قيس بن عامر وذي الرمة (١٩) .

ومن خصائص (إنّ) الذاتية إنّها قد تخفف بحذف إحدى النونين فيها فتبقى بنون واحدة ويكون شكلها (إن) أو (أن) حسب شكل همزتها ويكون لكل منهما أحكام بعد التخفيف تفصلها كتب النحو (٢٠) .

٢ – في مجال تأثيرها الإعرابي:

ذكرنا آنفا أنّ (إنّ) من لوازم الجملة الاسمية ، أي تختص بالدخول على الجملة الاسمية المتكونة من (المبتدأ والخبر)، ونعلم أنّ المبتدأ والخبر حكمهما الرفع ، فالمبتدأ رفع بالابتداء ، والخبر رفع بالمبتدأ ، أو كما قيل:ترافعا ، فإذا دخلت عليهما (إنّ) نسختهما ، أي :غيرت في حكمهما الإعرابي ، فتنصب المبتدأ ، ويسمى بعد ذلك اسم (إنّ) وترفع الخبر، ويسمى بعد دخولها خبر (إنّ) ، فيصبحان تابعان لها وينسبان لها بعد أن كانا مبتدأ وخبر، وفي عملها في الخبر خلاف بين النحويين ، قال المالقي: إنّ حرف توكيد ينصب الاسم ويرفع الخبر، وهذا رأي البصريين ، نحو:إنّ زيدا ذاهب ، خلافا للكوفيين في قولهم :إنّها لم تعمل في الخبر شيئا بل هو باق على رفعه قبل دخول إنّ عليه(٢١) .

٣- في مجال توقف تأثيرها الإعرابي :

ومن خصائصها في مجالها الإعرابي: إنّها قد تدخل عليها (ما) الكافة الزائدة فتكفها عن العمل فتسمى (ما) كافة وتسمى (إنّ) مكفوفة لا تؤثر على الجملة الاسمية ،أي ملغاة ، وفي هذه الحالة تدخل على الجملة الاسمية والفعلية على حد سواء(٢٢) ، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ((... أنّمَا إلَـهُكُم إلَهٌ وَحِدٌ...)) (فصلت :٦) ، وقوله تعالى: ((قُلْ إنّمَا أنَاْ بَشَرٌ مِثلُكُمْ يُوحَى إلَيّ أنّمَا إلَـهُكُمْ إلَهٌ وَحِدٌ ...))(الكهف:١١٠) ،وقوله تعالى: ((... كَأنّمَا يُسَاقُونَ إلَى المَوْتِ...))(الأنفال:٦) .

ومن خصائص (إنّ): إذا خففت ، أي إذا حذفت إحدى نونيها وصارت (إن) إنّها قد تعمل ، وقد تُهمل وإهمالها أكثر ، ويكون عملها بشروط مبسوطة في كتب النحو ، ومنه قولنا : إن أخاك لصادق أو : إن أخوك لصادق .

ومن خصائصها: إنّها إذا خففت وأهملت اتصلت بها لام تسمى اللام المزحلقة أو الفارقة ، وهي التي تفرق بينها وبين (إن) النافية التي تعمل عمل ليس حتى لا يقع لبس بينهما (٢٣) ، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ((وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ...)) (الإسراء:٧٣) ، وقوله تعالى: ((... وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً...)) (البقرة:١٤٣) .

أمّا بالنسبة لـ(أن) المفتوحة الهمزة فيرى جمهور النحاة أنّ تخفيفها لا يستلزم إلغاء عملها خلافا للقاعدة العامة ،بيد أنّه يجب أن يكون اسمها ضميرا مقدرا غير مذكور في اللفظ ويشيع كونه ضمير الشأن وخبرها تركيبا إسناديا غير وصفي ، وإذا كان الخبر تركيبا إسناديا اسميا أو ظرفيا ، لم يحتج إلى فاصل بينه وبين (أن)المخففة سواء أكان مثبتا أم منفيا ، نحو قوله تعالى: ((... وَ ءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَـلَمِينَ))(يونس:١٠) ، وكذلك إذا كان تركيبا إسناديا فعليا فعله جامد أو دعاء ، مثال الأول ، قوله تعالى: ((وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَـنِ إِلَّا مَا سَعَى))(النجم:٣٩) ، ومثال الثاني ، قوله تعالى (٢٤) : ((والخَـمِسَةَ أَن غَضِبَ اللهُ عَلَيْهَا ...)) (النور:٩) ، على قراءة نافع بتخفيف ((أن)) وكسر ضاد ((غَضِبَ)) فعلا ماضياً ورفع اسم الله بعدها فاعلا (٢٥) .

أمّا إذا وقع الخبر تركيبا إسناديا فعليا فعله متصرف وليس دالاً على الدعاء ،فإنّه يجب أن يفصل بينه وبين (أن) المخففة بفاصل حتى لا تلتبس بأن المصدرية فيضطرب المعنى ، وإذا كان هذا الفعل ماضيا مثبتا كان الفاصل (قد) مثاله قوله تعالى : ((...وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا...))

(المائدة:١١٣) ، وإذا كان ماضياً منفياً كان الفاصل (لا) ، نحو :حسبت أن لا حضر الطلاب ، وإذا كان مضارعا مثبتا كان الفاصل حرف التنفيس : نحو قوله تعالى : ((...عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى ...))(المزمل:٢٠) ، وإذا كان مضارعاً منفياً كان الفاصل أداة النفي نفسها ، ولا تكون إلا (لا)،نحو قوله تعالى: ((وَحَسِبُواْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ...))(المائدة:٧١) ، أو (لن) ،نحو: ((أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ))(البلد: ٥) ، أو (لم) ، نحو : ((أَيَحْسَبٌ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ)) (البلد:٧) ، كذلك من الممكن أن يكون الخبر تركيبا شرطيا شريطة كون أداة الشرط (لو) دون غيرها ، نحو قوله تعالى : ((...أَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ...))(الرعد:٣١) ، ويندر ورود التركيب اللغوي مع (أن) المخففة مخالفا لهذه الضوابط (٢٦) ، ويرى جمهور النحاة أنّها عاملة مؤكدة كالمشددة غير أن اسمها يجب أن يكون ضميرا محذوفا ، ولا يجوز إظهاره إلا في الضرورة وفي قولهم ما فيه من التكلف(٢٧) ، ومذهب سيبويه والكوفيين أنها مهملة لا تعمل لا في ظاهر ولا مضمر وعدوها حرفا مصدريا كسائر الأحرف المصدرية ،وتدخل حين إذ على الجمل الاسمية والفعلية(٢٨) ،وهو مذهب لا تكلف فيه (٢٩) ، غير أن الناظر إليها نظرة وصفية خالية من التسليم للقواعد والقوالب الجاهزة ، يجد أنّ من الإنصاف عدّ (أن) في هذه السياقات مؤكدة ملغاة عن العمل ، فتخفيفها أخرجها عن العمل ، وعن اختصاصها بالجملة الاسمية ، وصارت بتخفيفها تدخل على الجملة الاسمية والفعلية على حد سواء ، وهي في ذلك مثل (إنّ) بعد دخول (ما) عليها في تركيب (إنّما) الكافة والمكفوفة ، ولا وجود لمظاهر الجملة الاسمية في ما بعد (أن) فلا حاجة لأنّ نقدر لها اسما ، و نلوي أعناق الجمل الفعلية بعدها بتأويلها بخبر، أو بإعرابها في محل رفع خبر، أو نجعل الحرف الفاصل بينها وبين جملتها عوضا عن تخفيفها أو عوضا عن اسمها المحذوف ، ولا حاجة كذلك الى تأويلها وجملتها بمصدر بأن نجعلها حرفا مصدريا ، وهذا كله إجحاف بحق هذه الجمل ، إذا علمنا أن المراد من هذا التركيب هو الجملة الفعلية بعينها وليس مما يؤول منها ، فهي قصدت قصدا ، وليس المراد منه الجملة الاسمية ، أو المصدر المنسبك منها ومن جملتها ، فبين دلالاتها بون ، وشتان بين دلالاتها ، وعليه نقول:إنّ (أن) المخففة مؤكدة ، لأنّها لو لم تكن كذلك لكان مجيئها في سياقاتها عبثاً ، لأننّا نستطيع أن نستغني عنها في التركيب الذي ترد فيه وتبقى الجملة مفيدة ، ونقول غير عاملة ، لأنّها لم تختص بالجملة الاسمية ، وإذا دخلت في تركيب فعلي فإنّها لم تدخل على اسم حقيقة ، ولكنّهم قدروا لها اسماً (ضمير شأن) ، والمراد حقيقة هي الجملة الفعلية ودلالتها وليس الجملة الاسمية .

٤- في مجال خصائص جملتها من ذكر وحذف العمد :

الأصل في جملة (إنّ) أن تذكر عمدها: اسمها وخبرها اللذان أصلهما مبتدأ وخبر قبل دخول (إنّ) عليهما ، ويكون اسمها اسما مفردا ، ومفردا مضافا ولا يكون جملة ولا شبه جملة شأنه شأن المبتدأ في الجملة الاسمية ، ويشترط فيه ((أن يكون واجب الابتداء ، وأن لا يكون واجب التصدر ، وأن لا يكون واجب الحذف ، وأن لا يكون غير متصرف)) (٣٠) ،أمّا خبرها فيكون مفردا مرفوعا ومفردا مرفوعا مضافا وجملة وشبه جملة في محل رفع خبر (إنّ) كذلك شأنه شأن الخبر في الجملة الاسمية ، ويشترط فيه ((أن لا يكون طلبياً ولا إنشائياً خلافاً لابن عصفور)) (٣١) .

أمّا من جهة حذف عمدها ،فيحذف اسمها من سياق جملتها إذا خففت (إنّ) ودخلت على جملة مبدوءة بفعل وكان خبرها جملة فعلية ،نحو : (إن كان زيد لكريما) ، أو جملة اسمية نحو: (أوقن أن الصبر مفتاح الفرج) ، فحينئذ يكون اسمها ضمير شأن مقدر ، وخبرها الجملة الفعلية أو الاسمية في محل رفع (٣٢) ، ومن الأمثلة القرآنية على هذا قوله تعالى : ((وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى))(النجم :٣٩) ، وإذا خففت (أنّ) المفتوحة الهمزة ، وصارت (أن) ووليها فعل عندها يلحقها أحد الأحرف الآتية (لا أو قد أو السين أو سوف) ، وقد جعل بعض العلماء هذه الأحرف عوضاً عن الاسم الذي كان يجب أن يليها ، لأنّها من خصائص الجملة الاسمية ، ومنهم من جعلها عوضا عن تخفيف (أنّ) كأنّهم كرهوا أن يجمعوا على الحرف الحذف والفعل الذي لم يكن يليه وهو مثقل فأتوا بشيء يكون عوضاً من الاسم ، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:(٣٣) ((أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ...))(طه:٨٩) ، وقوله تعالى: ((...عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى ...))(المزمل:٢٠) ، وسنفصل القول فيه لاحقا .

أمّا في مجال حذف خبرها ، فهي كباقي أخواتها يحذف خبرها وجوباً وجوازاً ، وقد تكلم سيبويه في جواز حذف خبرها وعقد له بابا سماه: ((هذا باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة لإضمارك ما يكون مستقراً لها وموضعاً لو أظهرته ، وليس هذا المضمر بنفس المظهر)) (٣٤) ، وضرب لذلك أمثلة ، منها قولهم : إنّ مالاً وإنّ ولداً وإنّ عدداً ،إي:إنّ لهم مالاً ، وإنّ لهم ، ولداً إنّ لهم عدداً ، فالذي أُضمر(لهم) ، ومنه قول الرجل للرجل :هل لكم أحد ؟ إنّ الناس ألب عليكم ، فيقول:إنّ زيداً وإنّ عمراً ،أي: إنّ لنا (٣٥) ، وقسّم العلماءُ حذفَ الخبر على ضربين:جائز وواجب تفصله كتب النحو في مظانه ، ومدار ذلك الدليل في السياق (٣٦) ، وهنا يجب أن نوضح مسألة مهمة وهي وجود خلاف بين العلماء بين أن تكون شبه

الجملة هي الخبر ، وبين أن تكون شبه الجملة هذه متعلقة بخبر محذوف ، ففي قولنا مثلا: (إنّ في الدار زيداً) ، فعلى الرأي الأول تكون شبه الجملة (في الدار) في محل رفع خبر مقدم ، وعلى الرأي الثاني: تكون شبه الجملة متعلقة بخبر محذوف تقديره: (موجود) ، أو ما في معناه بما يناسب السياق ، والذي نميل إليه ونؤيده ، هو أن تكون شبه الجملة خبراً ،لعدم الحاجة إلى إنهاك السياق بتقدير الخبر مع وضوح المعنى ، ولاسيّما في النصوص القرآنية فإنّ هذا التقدير مما يخدش البيان القرآني ، فلو أخذنا مثلا قوله تعالى : ((... إِنّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ...)) (المائدة:٢٢) ، فوجود الجار والمجرور ((فيها)) الدال على الظرفية أغنى عن تقدير الخبر (موجودون) ، فلا حاجة لتقديره بل إنّ تقديره يفسد البيان القرآني ،لذا نقول في مثل هذا السياق: ((إنّ)) حرف توكيد ونصب مبني ، و((فيها)) جار ومجرور شبه جملة في محل رفع خبر مقدم ، و((قوماً)) اسم ((إنّ)) منصوب ، و((جبارين)) صفة لـ((قوماً)) منصوبة .

٥- في خصائص عمدها في مجال التقديم والتأخير :

يقول النحويون: إنّه لا يجوز تقديم خبر إنّ على اسمها كأخواتها هذا إن لم يكن الخبر شبه جملة من الظرف والجار والمجرور ، أمّا إذا كان الخبر شبه جملة من الظرف والجار والمجرور فمنهم من جعلها متعلقة بخبر مقدر ، ومنهم من قال: بل هي الخبر كما قدمنا آنفا ، فإذا سلمنا بأنّ شبه الجملة هي الخبر ترتب على ذلك جواز أو وجوب تقديم شبه الجملة الخبر وهو في الآتي :

أ- جواز التقديم إن كان الخبر شبه جملة ، كما في قوله تعالى : ((...إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ...)) (المائدة:٢٢) .

ب- وجوب التقديم إن كان في الاسم ضمير يعود على شبه الجملة ، ونحو ذلك : (إنّ في البيت أهله) ، أو قولنا : إنّ في الدار صاحبها ، ففي مثل هذه الحالة يكون تقديم الخبر شبه الجملة واجباً على اسم إنّ (أهله) أو (صاحبها) المنصوب ، والضمير (الهاء) مضاف إليه ، لئلا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة (٣٧) .

وكذلك يجب تقديم الخبر شبه الجملة على الاسم إذا كان هذا الاسم مقترنا بلام التوكيد أو اللام المزحلقة (٣٨) ، ونحو ذلك قوله تعالى : ((وَإِنَّ لَنَا لَلْأَخِرَةَ وَالأُولَى)) (الليل :١٣) ، وقوله تعالى : ((...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الأَبْصَارِ)) (آل عمران ١٣) .

٦- في خصائص فضلاتها :

قدّمنا أنّ مصطلح العمد عند النحويين يقصد به المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية ، وإذا دخلت (إنّ) عليها صارت العمد اسم (إنّ) وخبرها ، وما سوى ذلك في الجملة يسمى فضلة وجمعها فضلات ، ومنها المفعولات والمتعلقات والصفة والحال....إلى آخره .

إن معمول الخبر شبه الجملة يجوز أن يتقدم على اسم (إنّ) نحو : (إنّ عندك زيداً مقيمٌ) ، ومنه قول الشاعر :

فَلَا تَلْحَنِي فيهَا فَإنّ بِحُبّهَا أخَاكَ مُصَابُ القَلبِ جَمٌ بَلابِلُه (٣٩) .

وتتقدم شبه الجملة على اسم إنّ على رأي من يقول: إنّها متعلقة بخبر محذوف من ذلك قولهم : (إن في الدار زيدا) ، ومنه قوله تعالى : ((إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا)) (الشرح: ٦) .

ويجوز تقديم متعلق الخبر على الخبر نفسه بحيث يتوسط بين الاسم والخبر ، سواء كان هذا المتعلق ظرفا أو مجرورا أو غيرهما ، فالأول نحو: (إنّك عندنا مقيمٌ) ، والثاني نحو: (إنّكَ في المدرسة تتعلم) ، والثالث ،نحو:(إنّ سعيداً درسه يكتب) (٤٠) .

٧- خصائصها الوظيفية :

قدمنا في مجال عملها: أنّها ناسخة للجملة الاسمية المبتدأ والخبر ، وأنها ترفع الخبر فيسمى الأول اسمها ، ويسمى الثاني خبرها ، أمّا في مجالها الوظيفي البياني المعنوي فوظيفتها إنّها تؤكد مضمون الجملة ، أي إنّها تؤكد ما يخبر بجملتها في نفس المخاطب الذي قد ينتابه التردد في قبول الخبر ، ومعناها: (أُؤكد) أو (أكد) ، ولهذا السبب سُميت (مشبهة بالفعل) كما قدمنا ، ففي قوله تعالى : ((إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ...)) (الاحزاب:٥٦) ، فيها تأكيد وتثبيت للخبر الذي قد يتردد في قبوله أو تصديقه سامع متردد شاك فهو أقوى و آكد من قولنا : (الله وملائكته يصلون على النبي) ، وفي العربية أساليب أخر لتثبيت الخبر ، وهي زيادة أدوات التوكيد من (إنّ) ، و(اللام) ، و(النون) وغيرها ، وهي تجتمع معا بحسب حالة متلقي الخبر ، وهذا مبسوط في مظانه من كتب العربية .

ومن معانيها الأخرى إنّ (إنّ) المكسورة الهمزة تكون بمعنى (أجل) أو نعم ،أي: إنّها تستعمل حرف جواب ، فتقول في جواب من قال :أجاءك زيدٌ ؟ إنّه ، أي: نعم قد جاءني ، والهاءُ للسكت ، أُتى بها لبيان الحركة ، وليست ضميراً (٤١) ، وحمل المبرد على هذا المعنى قراءة من قرأ : ((... إنْ هَذَنِ لَسَحِرَنِ ...)) (طه:٦٣) (٤٢) .

وقد تستعمل (أنّ) المفتوحة الهمزة بمعنى (لعلّ) ، يقال: أيت السوق أنّك تشتري لنا كذا ، أي: لعلّك ، وجعلوا منه قوله تعالى : ((... وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)) (الأنعام:١٠٩) ،أي: لعلّها (٤٣) ، ومن دلالاتها الحصر أو المبالغة إذا اتصلت بها ما الكافة حسب سياقها (٤٤) .

٨- خصائص العطف على اسمها :

إذا عطفنا على اسم (إنّ) الناصبة عطفنا بالنصب ، سواء وقع المعطوف قبل الخبر أم بعده ، فمثال العطف قبل الخبر : (إنّ سعيداً وخالداً مسافران) ، ومثال العطف بعد الخبر : (إنّ سعيداً مسافر وخالداً) ، ويجوز أنّ نرفع ما بعد حرف العطف بعد استكمال الخبر ، على أنّه مبتدأ محذوف الخبر ، ونحو ذلك قولنا: (إنّ سعيداً مسافرٌ وخالدٌ) ، ومثله قوله تعالى : ((وَأَذَنٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ...)) (التوبة : ٣) ، وقد يرفع ما بعد العاطف قبل استكمال الخبر لغرض معنوي بياني على أنّه مبتدأ محذوف الخبر فتكون جملته معترضة لا محل لها من الإعراب بين اسم (إنّ) وخبرها ومن ذلك قول الشاعر ضامئ بن الحارث البرجميّ :

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمَدِيْنَةِ رَحْلُهُ فَإِنّي وَ قَيّارٌ بِهَا لَغَرِيْبُ . (٤٥)

فغريب : خبر عن اسم (إنّ) ، و قيّار مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير: و قيّار غريب بها أيضا (٤٦) ، و قيّار اسم فرسه أو جمله ، وإنّما قدمه واعترض بين اسم إنّ وخبرها لغرض أنّ هذا الفرس أو الجمل استوحش في هذا البلد وهو حيوان فما بالك بي ، فلو نصب بالعطف على اسم (إنّ) ، وقال : (فإنّي و قيّارا بها لغريبان) لم يكن من وراءه شدّة تصوير الاستيحاش الذي يعطيه الرفع في هذا المقام .

ومن أمثلة بيان هذا العطف في القرآن الكريم قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّـذِينَ هَادُواْ وَالصَّـــــبِئُونَ وَالنَّصَـــــرَى مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَعَمِلَ صَـــلِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (المائدة : ٦٩) ، فـ ((الصابئون)) مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير: والصابئون كذلك ، أي: لهم حكم الذين آمنوا والنصارى واليهود ، والجملة معترضة بين اسم إنّ وخبرها ،وخبر إنّ هو جملة الجواب والشرط ، والغرض من رفع ((الصابئون)) ، وجعله مبتدأ محذوف الخبر إنّه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الأديان كلها ، يُتابُ عليهم إن صح منهم الإيمان ،واعتصموا بالعمل الصالح فغيرهم ممن هو على ديـن سـماوي وكتاب منزل أولى بذلك (٤٧) .

المبحثُ الثاني

إنّ وجملتها في سُورةِ المُزّمّلِ ، دِرَاسَةٌ فِي التّركِيبِ والبَيَانِ

أمّا الخصائص السياقية والبيانية لـ (إنّ) و جملتها في سورة المزمل ، فقد وجـدنا أنّ (إنّ) بأشكالها المختلفة قد وردت في سورة المزمل في إحدى عشـرة جملـة اختلفـت فـي خصائصها التركيبية هي وجملتها ، وسنتعرف عليها من خلال دراسة تراكيبها ، ومن الملاحظ على جملة (إنّ) في سورة المزمل أنّنا قد وجدنا اختلافا في هذه الجمل عن بعضها بعضا فـي تفصيلاتها ،أي إنّنا لم نجد تطابقا بين جملتين في التركيب ، وهذا ما أدى بـدوره إلـى تعـدد المعنى وسعته من جملة لأخرى ، وهذا من إعجاز القرآن الكريم اللغوي ومن غرائب اللغـة العربية وسعة تصرفها ولهذا اختارها الله سبحانه وتعالى لغة لكتابه الكريم ، ونعرض دراسـة هذه الجمل وفق ترتيب ورودها في السورة :

١- ((إِنّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)) (المزمل:٥)

وتفصيلها ((إنّ)) حرف ناصب مؤكد ، اسمه الضمير ((نا)) محذوف النون لتـوالي الأمثال وبقيت ألفه (٤٨) ، ولو قيل: حذفت إحدى نوني (إنّ) لكان أوجه لورود تخفيفهـا فـي العربية وعدم شيوع حذف نون الضمير(نا) وبقاؤه على حرف واحد ، و((نا)) مبني في محـل

نصب اسم (إنّ) ، ويُؤتى بالمسند إليه معرفاً بالإضمار عند البيانيين لأغراض منها ، لكون الحديث في مقام التكلم ، أو لكون الحديث في مقام الخطاب ، ومنها تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع لتشوقه إليه(٤٩) ، وأرى أنّ هذه الأمور قد قصدت هنا من الإتيان بالضمير((نَآ)) ، و((نلقي)) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء ، وفاعله الضمير المقدر (نحن) ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنّ) (٥٠) ، و(السين) تدل على الاستقبال والتنفيس ، أي إنّها تدل على المستقبل القريب إذا ما قورنت بسوف التي للتسويف ،لأنّها أقل مدّة منها وكلاهما للتوكيد إن دخلا على مضارع فيه الوعد والوعيد(٥١) ، لذلك نقول: إنّها هنا تفيد التوكيد ، لأنّها تفيد وعداً مستقبلياً قريب الأمد ، وإذا كان الواعد الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الوعد لابد محققا ، وكذلك لم نجد القوة في الجملة لو نطقناها بدون السين ،ففي قوله تعالى: ((إنّا سَنُلْقِي)) يشعر بقوة غير موجودة في قولنا : (إنا نلقي بعد مدّة كذا) ، فتأمل ذلك في نطقها .

والجملة الاسمية تفيد في أصل وضعها الثبوت أي ثبوت شيء لشيء أمّا إذا كان خبرها فعلاً فإنّها تكون كالجملةِ الفعليةِ في إفادةِ التجددِ والحدوثِ في زمنٍ مخصوصٍ (٥٢) ، فالفعل المضارع فيها يدل على الحركة ، أي على الحدوثِ والاستمراريةِ ، لأنّه يُفيد الاستقبال ، وقد تحصّلَ هذا الغرض من استمرار نزول القرآن الكريم مُفرقاً في عددِ سنين ، والإخبارُ بالجملةِ عند البيانيين يُراد به تأكيد الحكم ، وذلك لما في الجملةِ من تكرار الإسناد مرتين (٥٣) ، والفاعل المقدر بـ (نحن) دال على الإفراد مجازاً، ويُراد به التعظيم ، لأنّه يُراد به هنا الذات العلية الله سبحانه وتعالى ، أو قد يكون دالاً على الجمع على بابهِ ، فيكون المُراد بهِ اللهُ سبحانه وتعالى مع من سخرهم لطاعتهِ وإيصال رسالته من الملائكة ، مثل جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة الكرام ، وعليه يكون الجمع في الاسم وفي الفعل والفاعل في الخبر على حقيقته .

وعليه يكون نسق هذه الجملة في الآتي :

إنّ + اسمها (اسم مفرد) + خبرها (جملة فعلية)+ متعلق مقدم + مفعول به + نعت .

والإلقاءُ حقيقتُه ((رميُ الشيء من اليد إلى الأرض وطرحه ، ويُقال :شيء لقى ، أي مطروح ، استعير الإلقاء للإبلاغ دفعة على غير ترقب)) (٥٤) ، وقد يكون الإلقاء على حقيقته ، لأنّ الإلقاء يكون برمي الشيء من فوق إلى أسفل ، وهذا ما حدث من إنزال القرآن الكريم

من الله تعالى إلى السماء الدنيا دفعة واحدة ، وفي إيثار لفظة الإلقاء إشارة إلى سرعة إنزاله وقدرة الله تعالى في إيصاله .

و((عليك)) شبه الجملة من الجار والمجرور متعلقة بالفعل ((نُلْقِي)) ، وقدم على المفعول بهِ للاهتمامِ بالضميرِ الـ (ك) ، أي :بالمرسل إليهِ لا بالرسالة ، وفيه دلالة على الاختصاص ، أي سنخُصُّكَ بالرسالة يا محمد ، وسنلقيها عليك ، و(على) حرف يدل على الفوقية ودلالته هنا على التكليف ، أي: سنضع على عاتقك وفي مسؤوليتك حملاً ثقيلاً بتكليفك بالرسالة يا محمد ، ودلالة الضمير (الكاف) يُراد بهِ محمدٌ (صلى الله عليه وسلم) ابتداء ، ثم بعد ذلك كل مكلف من أمته .

و((قَوْلًا)) في هذا النسق مفعول به يُراد بهِ القرآن الكريم ، و((ثَقِيلًا)) صفته ، فالقول الثقيل: هو القرآن الكريم (٥٥) .

ومن المعربين من قال:إنّ في هذه الجملة مصدراً محذوفاً ، والتقدير يكون :إنّا سنلقي عليك قولاً إلقاءً ثقيلاً ، وعليه يكون ((ثَقِيلًا)) صفة للإلقاء وليس للقول (٥٦) ، وهذا التقدير لا تميل إليه النفس مع وجود المفعول به ((قَوْلًا)) ،لأنّ سبك الكلام يُومئ إلى أنّ ((ثَقِيلًا)) صفة لـ ((قَوْلًا)) ، أمّا الإلقاء فيوصف بالسرعة أو بالقوة لا بالثقل إلا بطريق المجاز المرسل وبعلاقة الملازمة .

وفي معنى الثقل ذكر الرازي عشرة وجوه (٥٧) نقلها في تفسيره عمن سبقه ونحن بدورنا ننظر إليها نظرة بيانية ونُقسمها على هذا الأساس ، فنقول: قد يُراد بالثقل حقيقته ، أي من ثقل الشيء في وزنه ، يؤيد ذلك حديث عائشة رضي الله عنها : ((إنْ كان لَيُوحَى إلَى رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم وَهُوَ على نَاقَتِهِ فَتَضْرِبُ عَلَى جِرَانِهَا مِنْ ثَقِلِ مَا يُوحَى إلَى رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيهِ وسلّم ، وإنْ كَانَ جَبِيْنُه لَيَفُطُّ بالعَرَقِ فِي اليَومِ الشَّاتِي إذَا أوحى اللهُ إليهِ)) (٥٨) ، ويؤيده حديث زيد بن ثابت ،أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه : ((لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ ...))(النساء:٩٥) ، فجاء ابن أم مكتوم وهو يملي عليّ ، قال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت ، وكان أعمى ،فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت عليّ حتى خفت أن ترضّ فخذي،ثم سُري عنه فأنزل الله: ((غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ)) (النساء:٩٥) (٥٩) .

وقد يُراد به ثقلا مجازياً بما اشتمل عليه من التكاليف الشاقة كالجهاد ومداومة الأعمال الصالحة(٦٠) ، وقد يُراد به الكناية عن البقاء والديمومة على وجه الدهر، لأنّ الشيء إذا كان ثقيلاً ثبت في مكانه أو من شأنه أن يبقى في مكانه (٦١) .

أما الوظيفة النحوية والبيانية لهذه الجملة في السياق القرآني ،فقد قال الزمخشري :هي معترضة للتعليل (٦٢) ، ومن المعربين من قال :هي استئنافية ،أي لا محل لها من الإعراب منقطعة عما سبقها صناعياً ،أي: لا تشكل جزءاً مما سبقها ، ومنهم من قال: هي استئناف بياني ، أي هي جواب لسؤال مقدر سبقها ، وقد جمع ابن عاشور هذه الوجوه كلها بقوله : هذا ((تعليل للأمر بقيام الليل وقع اعتراضاً بين جملة ((قُمِ الَّيْلَ)) (المزمل:٢) ، وجملة ((إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً ...)) (المزمل:٦) ، وهو جملة مستأنفة استئنافا بيانيا لحكمة الأمر بقيام الليل بأنّها تهيئة لنفس النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليحمل شدّة الوحي ، وفي هذا إيماء إلى أنّ الله يسّر عليه ذلك ، كما في قوله تعالى : ((إِنّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرءَانَهُ)) (القيامة:١٧) ، فتلك مناسبة هذه الجملة عقب جملة : ((قُمِ الَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً))(المزمل:٢) ، فهذا إشعار بأنّ نزول هذه الآية كان في أول عهد النبي صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن فلما قال تعالى : ((... وَرَتِّلِ القُرْءَانَ تَرْتِيلاً))(المزمل:٤) ،أعقبها ببيان علة الأمر بترتيل القرآن)) (٦٣) .

٢- ((إِنّ نَاشِئَةَ الَّيلِ هِيَ أَشَدّ وَطئاً وَأَقوَمٌ قِيْلاً)) (المزمل:٦).

ذهب المعربون في هذه الجملة إلى أنّ ((إنّ)) حرف ناسخ ناصب للجملة الاسمية يفيد التوكيد ، و((ناشئة)) اسم (إنّ) منصوب ، وهو مضاف ، و((الليل)) مضاف إليه ، والإضافة هنا أفادت التخصيص ، أو الاختصاص (٦٤) ، وأغراض تعريف المسند إليه بالإضافة عند البيانيين كثيرة منها:إنّها أخصر طريقة إلى إحضار المتكلم عنه إلى ذهن السامع ويدخل في ذلك الاختصار لضيق المقام لدفع الضجر والسآمة ، ومنها التعظيم للمضاف(٦٥) ، وأرى أن كل هذه الأغراض قد قصدت هنا في هذا التركيب .

و((ناشئة)) إما مؤنث ناشئ ،اسم فاعل من الثلاثي نشأ ، وزنه فاعل وصفت به النفس الناشئة بالليل للصلاة ، أو هو مصدر بمعنى قيام الليل كالعاقبة (٦٦) ،قال الخليل: ((النشأ :أحداث الناس الصغار، ويقال للواحد:هو نشأ سوء ،... و الناشئ: الشاب ،يقال:فتى ناشئ ، ولم أسمع هذا النعت في الجارية ، والفعل نشأ ينشأ نشأ ونشأة و نشاءة ...والناشئة: أول الليل وأنشأت حديثا :ابتدأت ، وأنشأ الله السحاب فنشأ ينشأ ،أي ارتفع)) (٦٧) وقيل: بل هي مأخوذة من الإنشاء بمعنى الأحداث فكل ما حدث فهو ناشئ ، يقال: نشأت تنشأ نشأً فهي ناشئة ،

فيقال: للذكر ناشئ وللمؤنث ناشئة ، وقيل: في معناها التفسيري هنا أقوال : فقيل :إنّها ساعات الليل ، أو إنّها الأمور التي تحدث في ساعات الليل (٦٨) ، وقيل: هي مابين المغرب والعشاء ، وقيل:هي القيام بعد النوم ، وقيل: هي لفضة حبشية من نشأ الرجل إذا قام بالليل (٦٩) ، وعلى كل هذه الأقوال يكون المقصود بها: العبادة التي تؤدى في وقت من أوقات الليل .

و((هي)) ضمير فصل (٧٠) ، وهذا يعني أنّه فضلة ،أي: ليس من عمد الجملة المبتدأ والخبر جيء به لتأكيد التخصيص ، كما يقول أهل البيان (٧١) ، أي: تخصيص هذه العبادة في هذا الوقت ، و((أشدُّ)) خبر إنّ مرفوع بالضمة ، وعليه فاسم إنّ مفرد مضاف ، والخبر مفرد اسم صريح ، وعليه يكون نسق الجملة كالآتي:

إنّ+ اسمها (اسم مضاف) + ضمير فصل + خبرها (اسم مفرد) + تمييز .

ومن المعربين من يرى أنّ الخبر جملة اسمية ، أي إنّ (هي) مبتدأ وليس بضمير فصل و((أشدُّ)) خبر له ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ((إنّ)) ، وهذا ما نميل إليه، لأنّ وظيفة الإخبار بالجملة الاسمية هي الزيادة في التوكيد ، ولأنّ التوكيد بالجملة آكد من التوكيد بالضمير وحده أو بالمفرد ، ولاسيما إذا علمنا أنّ الإخبار بالجملة الاسمية فيه دلالة على ثبات الخبر، والإخبار بالتركيب أقوى من الإخبار بالمفرد ، وعليه يكون النسق كالآتي :

إنّ + اسمها (اسم مضاف) + خبرها (جملة اسمية) + تمييز .

ومن المعربين من يرى أنّ المبتدأ مقدر وبقيت صفته دليل عليه (٧٢) ، وعليه يكون نسق الجملة كالآتي:

إنّ + اسمها (مقدر) + صفة + خبرها (جملة اسمية) أو(اسم مفرد).

وفائدة تقديره العموم لكي يذهب فيه الذهن كل مذهب ، وجعل هذا الاسم المقدر صفة لجمع مقدر يقدر بـ (طائفة) أو (فرقة)ناشئة (٧٣) ، أو هو صفة لمفرد مقدر تقديره (النفس) الناشئة ، وفسروه عليه بالنفس التي تنشأ في الليل من مضجعها إلى العبادة ، أي تنهض وترتفع من نشأ من مكانِه إذا نهض (٧٤) ، فالموصوف محذوف والإضافة للملابسة

بمعنى:النفس الناشئة في الليل ،هي أشد وطأً ، أي :كلفة وثقلاً (٧٥) ، أي :هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطيء قلبها لسانها ،إن أريد بالناشئة النفس المتهجدة ،أو يواطيء فيها قلب القائم لسانه إن أُريد بها القيام أو العبادة أو الساعات ، أو أشدّ موافقة لما يُراد من الإخلاص وأشدّ مقالاً أو أثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الأصوات(٧٦) .

وإيثار لفظ ((ناشئة)) هنا دون غيره من نحو قيام أو تهجّد لأجل ما يحمله من المعاني الكثيرة ليأخذ الناس فيه بالاجتهاد (٧٧) ، ولذلك قالوا في ناشئة الليل :ساعاته وأوقاته ، لأنّها تنشأ أول بأول ، وقالوا: حوادث الليل من نشأ إذا حدث ، وقالوا: الليل كله ناشئة ، وقيل: بل هي النفس التي تنشأ من مضجعها للعبادة ، أي تنهض ، وقيل: هي كلمة حبشية تعني قيام الليل ، وقيل: الناشئة هي العبادة بعد النوم ، وقيل: هي مابين المغرب والعشاء ، لأن معنى نشأ ابتدأ ، وقيل: هي الليل كله لأنّه ينشأ بعد النهار ، وقيل: هي القيام من آخر الليل ، وقيل: هي أول ساعاته ،وقيل: هي ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح (٧٨) .

((وأقوم)) معطوف على ((أشد)) بحرف العطف (الواو) الدال على الجمع بلا مهلة ،فـ((أقوم)) مرفوع ، لأنّه عطف على خبر (إنّ) المرفوع فهو مرفوع مثله ، و((وطئاً)) و((قيلاً)) تمييزان (٧٩) ، والمعنى عليهما – على اختلاف القراءة في ((وطئاً)) من فتح الواو وكسره – إنّ صلاة الليل هي أشد وقعاً ، أو أشد أثراً في نفسه وأرسخ خيراً وثواباً ، أو إنّ المعنى: إنّ صلاة الليل أوفق بالمصلي بين اللسان والقلب ،أي: بين النطق بالألفاظ وتَفَهُّمِ معانيها للهدوء الذي يحصل ولانقطاع الشواغل (٨٠) .

والوظيفة البيانية والنحوية لهذه الجملة هي أنّها جاءت معللة لما سبقها(٨١) ، أي: تعليل لتخصيص زمن الليل بالقيام فيه ، فالجملة مرتبطة بجملة ((قم الليل)) التي سبقتها ، أي: قم الليل ،لأنّ ناشئته أشد وطأً وأقوم قيلاً ، والمعنى: عليه إنّ في قيام الليل تزكية وتصفية لسرك أيها العابد وارتقاء بك إلى المراقي العلية (٨٢) .

أو تكون وظيفتها الاستئناف البياني (٨٣) ، أي أن تكون هذه الجملة جواباً لسؤال تقديره : لما الأمر بقيام الليل الوارد في قوله تعالى : ((قم الليل)) ؟، فجاءت هذه الجملة جوابا له ،أي ، لأنّ ((إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيلِ هِيَ أَشَدُّ وَطئاً وَأَقوَمُ قِيلًا)) ، فيكون الأمر بقيام الليل أو الحث عليه مما يثقل على النفس ، لأنّها مجاهدة لها لمخالفتها طبعها التي جبلت عليه ، وهو السُباتُ والنومُ ، لذلك كانت العبادة فيه ((أَشَدُّ وَطئاً وَأَقوَمُ قِيلًا)) ، أي: أعظم أجراً عند الله .

أو تكون وظيفتها الاستئناف النحوي الابتدائي (٨٤) ، على تقدير إنّ هذه الجملة جاءت مستقلة صناعياً عما سبقها فقبلها كان إخباراً عن إنزال القرآن الكريم الذي وصف بالقول الثقيل

، وفي هذه الجملة انتقل الكلام إلى غرض آخر جديد مستقل وهو الإخبار عن قيام الليل فذاك غرض وهذا غرض آخر وهو ما يكون لأجله الاستئناف النحوي .

٣- ((إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحَاً طَوِيلًا)) (المزمل:٧) .

((إنّ)) حرف ناصب ناسخ للجملة الاسمية وظيفته التوكيد لما بعده ، و((لَكَ)) شبه جملة جار ومجرور متعلقة بخبر مقدم مقدر ، و(في النهار) شبه جملة متعلقة بالخبر المقدر المقدم .

و((سبحا)) اسم (إنّ) منصوب مؤخر، و((طويلا)) صفته (٨٥) ، وعليه يكون النسق كالآتي :

إنّ + خبرها(مقدر مقدم) + شبه جملة + شبه جملة متعلقة بالخبر المقدر+ اسمها (اسم مفرد) + نعت للاسم .

ومن المعربين من ذهب إلى أنّ الخبر شبه الجملة وليس مقدراً (٨٦)، وعليه يكون النسق كالآتي:

إنّ + خبرها (مقدم :شبه جملة) + شبه جملة + اسمها (اسم مفرد) .

و(الكاف) في ((لَكَ)) يُراد به ابتداء محمد صلى الله عليه وسلم ،لأنّه هو المخاطب بالقرآن ، ومن فوائد الإتيان بالمسند جارا ومجروراً عند البيانيين ، أنّه يكون للاختصار ، ومن أغراضه التشويق للمتأخر إذا كان في المتقدم ما يُشوّق لذكره ، وأراه قد قصد هنا من هذا التركيب ، لتشويق الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه في الجزاء المرجو من ناشئة الليل ، و((في)) حرف جر أفاد الظرفية ،أي: في وقت النهار ، وهو وقت السبح المراد في الخطاب على الاختلاف في تفسيره ، و((سَبْحَاً)) اسم (إنّ) منصوب ، وهو مأخوذ من سبح وهو مصدر الثلاثي سَبْح في الماء وزنه (فَعْل) بفتح فسكون (٨٧) ، بمعنى: جرى أو تقلب في الماء ، وقد استعير للتصرف بالحوائج ، أو للتقلب في العبادة أثناء النهار ، وأصل السبح : المرُّ السريع في الماء فاستعير للذهاب مطلقا ، وهذا الذهاب قد يكون تقلباً وتصرفاً في مهماتك

واشتغالاً بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل ،أي إنّ لك في النهار فراغاً واسعاً لنومك وتصرفك في حوائجك ،أو قد يكون ذهاباً للعبادة في النهار ، أي إن فاتك من الليل شيءٌ فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه ، فالسبحُ ذهابٌ في فراغ مستعمل في ذلك لغة (٨٨) ، وذهب الآلوسي إلى ترجيح الأول بقوله : ((لكن الأول أوفق لمعنى قولهم سبح في الماء وأنسب للمقام)) (٨٩) ، والذي نراه مناسباً للمقام هو المعنى الثاني لمناسبته للسياق ، فقد أمر الله سبحانه وتعالى قبل هذه الآية بقيام الليل ثم أعقب ذلك بالتخيير بين قيام أوقاته ، في قوله تعالى : ((قُمِ الّيْلَ إلّا قَلِيلاً * نِصفَهُ أوِ انقُص مِنْهُ قَلِيلاً * أو زِد عَلَيهِ وَرَتِلِ القُرءَانَ تَرتِيلاً)) (المزمل:٢ –٤) ، يعني ليكن قيامك حسب قدرتك أو ما عليك وقت فراغك ، ثم أعقب ببيان مكانة عبادة الليل على غيرها بقوله تعالى : ((إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيل هِيَ أَشَدُّ وَطئاً وأقومُ قيلاً)) (المزمل:٦) ، ثم بيّن بهذه الآية إنّك إذا لم يتحصل لك أجر الليل العظيم ،أي إن لم تستطع عليه ، أو إن فاتك منه شيء فـ((إنّ لك في النّهارِ سَبْحَاً طويلاً)) (المزمل:٧) ، فعوض ما فاتك منه ، وعليه يُراد بالسبح عبادة النهار والاجتهاد فيه ، وهو أوفق لطبيعة النفس التي جبلت على السُبات في الليل والاستيقاظ في النهار ، فمن غلبه النوم في الليل لأجل السُبات عوضه في النهارِ في حالة صحو النفس واستيقاظها ونشأتها ، ويناسبه قوله صلى الله عليه وسلم : ((من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنّما قرأه من الليل)) (٩٠) ، وقد اختار هذا التفسير بعض المفسرين (٩١) ، وكذلك نقله الشوكاني عن الزجاج (٩٢) .

وقُرِئَت ((سَبْحَاً))بـ (سَبْخَاً) بالخاء ، ومعناها خفة في التكليف والتسبيخ: التخفيف ، وهو مستعار من سبخ الصوف ، وهو نفشه ونثر أجزاءه ، وهو كما قال الزمخشري: ((إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه)) (٩٣) ،أو إن فات حزب الليل بنوم أو عذر فليخلف بالنهار ، فإن فيه سبحا طويلا ، أي تنام بالنهار لتستعين به على قيام الليل (٩٤) .

و((طَوِيلًا)) صفة السبح وهو خلاف القصير ، وهو ((صفة مشبهة من الثلاثي (طال) وزنه فعيل) (٩٥) ، وهو ازدياد امتداد القامة ، أو الطريق ، أو الثوب على مقادير أكثر من أمثاله ، فالطول من صفات الذوات وشاع وصف الزمان به ، يقال: ليل طويل ، وأمّا وصف السبح بالطويل هنا فهو مجاز عقلي ، لأنّ الطويل هو مكان السبح ، وهو الماء المسبوح فيه وبعد هذا ففي قوله تعالى : ((طَوِيلًا)) ترشيح لاستعارة السبح للعمل في النهار (٩٦) ، أو للاجتهاد وللعبادة .

ومن المعربين من ذهب إلى أنّ ((في النّهَارِ)) متعلقة بحال مقدرة (٩٧) ، ويكون النسق عليه كالآتي:

إنّ + خبرها (مقدم:شبه جملة) + شبه جملة (متعلقة بحال مقدرة) + اسمها (مؤخر:اسم مفرد).

ومنهم من ذهب إلى أنّ ((في النهار)) حال للسبح (٩٨) ، فيكون النسق عليه كالآتي:

إن + خبرها (مقدم:شبه جملة) + حال (شبه جملة) + اسمها (مؤخر:اسم مفرد).

والأولى أن يُقال:إنّ ((في)) يدل على الظرفية والنهار ظرف للسبح ، أي هو مكان للسبح ، ووصف الطويل هو في الأصل وصف للنهار ، لأنّ طول السبح تابعا له واستمد الطول منه فلو كان النهار قصيراً لكان السبح قصيراً كذلك ، ويكون النسق المناسب له هو الآتي:

إنّ + خبرها (مقدم:شبه جملة) + ظرف مكان + اسمها (مؤخر:اسم مفرد) .

وقد ذكر ابن عاشور ما يشير إلى ذلك بقوله: ((وإمّا وصف السبح بـ (طويل)في هذه الآية هو مجاز عقلي ، لأنّ الطويل هو مكان السبح ، وهو الماء المسبوح فيه وبعد هذا ففي ((طَوِيلًا)) ترشيح لاستعارة السبح للعمل في النهار)) (٩٩) ، وقال الأهدلي :هي استعارة تصريحية (١٠٠) .

أما الوظيفة البيانية والنحوية لهذه الجملة ، فقيل:هي جملة استئنافية (١٠١) ، وقيل:هي استئناف بياني آخر بعد استئناف بياني سبقه (١٠٢) ، وقيل :هي تعليلية لما سبقها (١٠٣) ، فعلى القول الأول ، تكون الجملة مستقلة صناعياً عما سبقها ، والذي سبقها ذكر صلاة الليل وبيان أهميتها ، ثم انتقل في هذه الآية إلى غرض جديد وهو الإخبار عن السبح الطويل في وقت النهار ، وهو إمّا تقلبات العيش ومشاغل الإنسان ، أو الوقت الكافي للعبادة ليعوض المسلم ما فاته من ورد في الليل .

وعلى القول الثاني تكون جوابا لسؤال مقدر يكون تقديره :إنّ قصّرت بعبادة قيام الليل ماذا أفعل ؟ فأجابت هذه الآية بـــ ((إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً))،أي إن قصّرت في عبادة الليل فإنّ لك في النهار وقتاً كافياً لتعوض ذلك .

أما على القول الثالث فتكون تعليلاً لشيء مما في جملة ((إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وطئاً وأقومُ قيلاً)) (المزمل:٦) ، وذلك دائر بين أن يكون تعليلاً لاختيار الليل لغرض القيام عليه فيه فيفيد تأكيدا للمحافظة على قيام الليل ،لأنّ النهار لا يُغني غناءه فيتحصّل من المعنى قم الليل ، لأنّ قيامه أشدّ وقعاً وأرسخ قولاً ، لأنّ النهار زمن فيه شغل عظيم لا يترك لك خلوة بنفسك .

ويجوز أن تكون تعليلاً ممّا تضمنه قولــه تعــالى : ((...أَوِ انقُــص مِنْــهُ قَلِــيلاً)) (المزمل٣) ، أي إن نقصت من نصف الليل شيئاً لا يفتك ثواب عمله ، فإنّ لك فــي النهــار متسعاً للقيام والتلاوة ، مثل قوله تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَــةً لِمَــنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)) (الفرقان:٦٢) .

٤- ((إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيْمَاً)) (المزمل:١٢) .

((إنّ)) حرف ناسخ ناصب للمبتدأ رافع للخبر ، يُفيد التوكيد لما بعده ، و((لدَينَا)) شبه جملة ظرف مكان مبني على السكون في محل نصب ، والضمير ((نا)) مضاف إليه في محل جر ، وهذا الظرف قيل: متعلق بمحذوف خبر ((إنّ)) مقدم ، و((أنكالاً)) اسم ((إنّ)) مــؤخر منصوب ، والواو حرف عطف و((جَحِيْمَاً)) اسم معطوف على اســم ((إنّ)) (١٠٤) ، وعليــه يكون نسق الجملة كالآتي:

إنّ + شبه جملة (متعلقة بخبر إنّ مقدم مقدر) + اسم إنّ (اسم مفرد ،مؤخر) .

ويحتمل أن تكون شبه الجملة هي الخبر المقدم (١٠٥) ، وعليه يكون النسق كالآتي:

إنّ + خبرها (مقدم :شبه جملة) + اسمها (مؤخر :اسم مفرد) .

والذي نراه أنّ القول بتعلق شبه الجملة بخبر محذوف تقديره (استقرار) أو (ثبوت) (١٠٦) هو غاية في الفساد ، ذلك ، لأنّ السياق وأصول العقيدة الإسلامية لا تؤيده وتأباه يتضح فسادة من سؤال السائل :إذا استقرت أو ثبتت الأنكال والجحيم عند الله فهل كانت قبل ذلك غير مستقرة أو غير ثابتة عنده سبحانه وتعالى؟ والمتأمل في ذلك من جهة المعنى ومن جهة العقيدة يطمئن على فساده ،كما أنّ تركيب ((لدَينَا)) يشتمل على معنى الوجودية ، وإذا أخبر الله سبحانه وتعالى بأن لديه هذه الأشياء اقتضى الإيمان بوجودها وثباتها واستقرارها عنده بلا تقدير ، ولاسيّما إذا عُزز ذلك بالتأكيد بـ ((إنّ)) المؤكدة .لذلك كله يكون القول بأنّ الخبر شبه الجملة أسلم وآمن من القول بالحذف والتقدير ، وعدم القول بالتقدير أولى من التقدير في أصول المفسرين .

و((لدَينَا)) بمنزلة عندنا (١٠٧) ، أي: أعددنا عذابا عندنا لمن يستحق ، ومن فوائد الإتيان بالمسند ظرفاً الاختصار (١٠٨) ، ومن أغراضه التخصيص ، لأنّ هيئة التركيب الإضافي موضوعة للاختصاص ، ومن أغرضه التعظيم للمضاف (١٠٩) ، أي :تخصيص أدوات العذاب هذه لله تعالى ، والتركيب صائر إلى التخويف والتهويل مما أعدّه الله تعالى للعصاة ، والضمير ((نا)) هنا يوافق ما قبله – كما قدمنا – من أنّه قد يُراد به الله سبحانه وتعالى فتكون دلالته على الإفراد فيُرادُ بهِ التعظيم للذات العلية ، أو قد يُرادُ بهِ الجمع فتكون دلالته على الله سبحانه وتعالى وعلى من سخرهم لطاعته من الملائكة .

و((أنكَالاً)):جمع ،واحدها نِكْل بالكسر ونَكْل وهي ضرب من اللجم والقيود وكل شيء يُنكل به غيره فهو نكل (١١٠) ، وقيل: الواحد منها نِكْل بكسر فسكون ، وهي القيود الثقال (١١١) التي أعدت للكافرين ، أو هو الغل واحد الأغلال ، والأول أعرف في اللغة (١١٢) ، و أنكال جمع تكسير وزنها (أَفْعَال) ، جمع قلة ، إي ما دون العشرة في العدد .

وقيل: الأنكال جمع نكل ، وهي قيود ثقال ، يقيد بها أرجل المجرمين إهانة وتعذيبا لهم لا خوفاً من فرارهم (١١٣) .

والمعنى ((إنّ لَدَينَا)) في الآخرة وفيما هيأناه للعصاة من آلات العذاب وأسبابه ، والمقام مقام تهديد، لأنّ وجود آلات العذاب أشدُّ تأثيراً على إنّ تلك الآلات صور الأعمال القبيحة(١١٤).

وتقديم الخبر شبه الجملة أفاد الاهتمام بمكان الوعيد والتذكير به ، والمعنى:أي اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله فإذا لقيتموه وأنتم على التكذيب أو متلبسين بالتكذيب فسيكون لكم في ذلك المكان الذي أعدّه الله لعذابكم أغلالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً .

أمّا الوظيفة النحوية والبيانية لهذا النسق فقد قيل فيها: إنّها جاءت للتعليل(١١٥) ، أي: تعليل لقوله تعالى ((ذَرْنِى)) (المزمل:١١) وما عطف عليه فكأنّه قيل: كل أمرهم راجع إلي ومهلهم قليلاً ، لأنّ عندي ما أنتقم به منهم أشدّ الانتقام أنكالاً وجحيماً (١١٦) ، أو هي تعليل للأمر من حيث إنّ تعداد ما عنده سبحانه وتعالى من أسباب التعذيب الشديد في حكم بيان اقتداره على الانتقام منهم ، فهم يتنعمون في الدنيا و لا يبالون وعند الله تعالى العزيز المنتقم في الآخرة أمور مضادة لتنعمهم (١١٧) ، والمعنى: إنّ هذه الجملة تعليل أفاد تهديدهم بأنّ هذه النقم أعدّت لهم ، لأنّها لما كانت من خزائن نقمة الله تعالى كانت بحيث يضعها الله تعالى في المواضع المستأهلة لها وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرا فأعد الله تعالى لهم ما يكون عليهم في الحياة الأبدية ضدا لأصول النعمة التي خُوّلُوها فبطروا بها وقابلوا المنعم بالكفران (١١٨) .

وقيل: إنّ هذه الجملة مستأنفة (١١٩)، وهذا يعني أنّها ليس لها محل من الإعراب ،أي: لا تشكل جزءاً مكملاً للجمل التي سبقتها بل هي منفصلة عنها صناعياً وجاءت بغرض جديد ، وهو الإخبار والتوكيد لصور العذاب وآلاته التي أعدّها الله تعالى للمكذبين بدينه ورسله ورسالاته .

٥- ((إِنّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُم رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُم)) (المزمل: ١٥) .

((إنّ)) حرف توكيد ونصب ناسخ للجملة الاسمية ، و ((نا)) ضمير رفع مبني في محل نصب اسم ((إنّ)) ، وقيل: حذفت نونه وبقي الألف منه فقط (١٢٠) ، وكان الحذف لتوالي الأمثال، أي: توالت ثلاث نونات نونا ((إنّ)) المشددة المؤكدة ، ونون (نا) كما بينا ذلك آنفا . و((أرسلنا)) أرسل فعل ماض مبني على السكون ، لاتصاله بضمير رفع ، وفاعله الضمير ((نا)) ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ((إنّ)) (١٢١) .

والضميران ((نا)) في الاسم والخبر يدلان على التعظيم إن أُريد بهما الإفراد ،أي: إن أُريد بهما الله تعالى ، وقد يكونان على حقيقتهما من دلالتهما على الجمع إن أُريد بهما الله تعالى ومن سخرهم لطاعته من الملائكة ، ومما لا نعلمهم من خلقه ، ومن أغراض الإتيان بالمسند إليه ضميراً عند البيانيين كون الحديث في مقام التكلم أو الخطاب (١٢٢) ، كما هو

الحال في هذا المقام ، ومن المعلوم أن الجملة الاسمية تدل على الثبوت ، لكن إذا كان خبرها فعلاً فإنّها تكون كالجملة الفعلية في إفادة التجدد والحدوث في زمن مخصوص(١٢٣) ، و((إِلَيْكُم)) شبه جملة جار ومجرور متعلقة بالفعل ((أرسل)) .

و((رَسُولًا)) مفعول به منصوب ، يُراد به محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنّ ((الخطاب لأهل مكة أو للكفار العرب أو لجميع الكفار)) (١٢٤) ، وكونه مرسلاً إلى أهل مكة لا ينافي إرساله إلى من عداهم فإنّ مكة أم القرى فمن أرسل إلى أهل مكة فقد أرسل إلى أهل الدنيا جميعا،ولذا نص الله تعالى عليه بقوله (١٢٥): ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً...)) (سبأ:٢٨) ، ولذلك قيل: ((الآية خطاب للعالم لكن المواجهون قريش)) (١٢٦) .

و((شَاهِداً)) نعت لـ ((رَسُولاً)) فهو منصوب مثله ، ((ونُكّر (رَسُولاً) ، لأنّهم يعلمون المعنيّ به في هذا الكلام ، ولأنّ مناط التهديد والتنظير ليس شخص الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو صفة الإرسال ، وأُدمج في التنظير والتهديد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بكونه شاهداً عليهم)) (١٢٧) ، والمراد بالشهادة هنا الشهادة بتبليغ ما أراده الله تعالى من الناس ، وبذلك يكون وصف ((شَاهِداً)) موافقاً لاستعمال الوصف باسم الفاعل في زمن الحال ، أي: هو شاهد عليكم الآن بمعاودة الدعوة والإبلاغ (١٢٨) ، وشاهد عليكم يوم القيامة بما صدر عنكم من كفر وعصيان (١٢٩) ،أي: هو خطاب عام للمكذبين أُولي النعمة سواء جعلوا القائلين أو بعضهم ، ففيه التفات من الغيبة وهو التفات جليل الموقع ،أي: إنّا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً يشهد عليكم يوم القيامة بما صدر عنكم من كفر وعصيان (١٣٠) ، وشُبّه إرسال محمد صلى الله عليه وسلم بإرسال موسى عليه السلام إلى فرعون على التعيين ،لأنّ كلا منهما رَبَا في قومه واستحقروا بهما وكان عندهم علم بما جرى من غرق فرعون فناسب أن يُشَبّه الإرسال بالإرسال (١٣١) ، ((وتمثيله لهم أمرهم بفرعون وعيدٌ كأنّه يقول فحالهم من العذاب والعقاب إن كفروا سائرة إلى مثل حال فرعون)) (١٣٢) ، أو هو شروع في التخويف بأهوال الدنيا بعد تخويفهم بأهوال الآخرة (١٣٣) .

أمّا الوظيفة النحوية والبيانية لهذه الجملة فقد قيل:إنّها استئنافية (١٣٤) ، أي: إنّ هذا كلام مستأنف مسوق لخطاب أهل مكة على طريق الالتفات من الغيبة في قوله تعالى (١٣٥) : ((وَاصبِر عَلَى مَا يَقُولُونَ ...)) (المزمل:١٠) ، وقيل:الكلام مستأنف لكنّه لا يُعَدُّ من الالتفات ، لأنّ الكلام نقل إلى غرض غير الغرض الذي كان قبله إذ نقل الكلام إلى مخاطبة المشركين بعد أن كان الخطاب موجهاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والمناسبة لذلك التخلص إلى وعيدهم بعد أن أمره بالصبر على ما يقولون وهجرهم هجراً جميلاً ، والمقصود من هذا الخبر

التعريض بالتهديد أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم ممن كذبوا الرسل فهو مثل مضروب للمشركين،وأُكد الخبر بـ((إن))،لأنّ المخاطبين منكرون أنّ الله تعالى أرسل إليهم رسولا(١٣٦) .

٦- ((إنّ هَـذِهِ تَذْكِرَةٌ)) في قوله تعالى : ((إنّ هَـذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبّهِ سَبِيْلاً)) (المزمل: ١٩) .

الجملة المعنيّة بالدراسة من هذا الكلام هي قوله تعالى:((إنّ هَـذِهِ تَـذْكِرَةٌ)) ،فـ((إنّ)) هنا حرف توكيد ونصب مبني على الفتح ناسخ للجملة الاسمية ، نُصب المبتدأ اسماً له ورُفع الخبر خبراً له ، وهو مؤكدٌ لمضمون هذه الجملة ، و((هذه)) الهاء للتنبيه حرف مبني ،و((ذِه)) اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب اسم ((إنّ)) يشار به إلى القريب و((تذكرة)) خبر ((إنّ)) مرفوع بالضم ، ونسق الجملة كالآتي :

إنّ + اسمها (اسم مفرد) + خبرها (اسم مفرد)

و الإشارة بـ ((هذه)) هنا قيل:إلى الآيات المتقدمة (١٣٧) ، أي: إلى الآيات الناطقة بالوعد والوعيد (١٣٨) ، فهي مشتملة على أنواع الهداية والإرشاد(١٣٩) ، ومنهم من خصّها بالوعيد فقال :ويحتمل أن تكون الإشارة إلى ما ذكر من الأنكال والجحيم والأخذ الوبيل ، ونحو ما سبق ذكره (١٤٠) ، أو هي إشارة إلى الآيات المنطوقة على القوارع المذكورة ، وهي من قوله تعالى : ((إنّ لَدِيْنَا أَنْكَالاً)) إلى هنا (١٤١) ، ومنهم من ذهب إلى أعم من ذلك فقال :ويحتمل أن تكون الإشارة إلى السورة أجمعها (١٤٢) ، ومنهم من ذهب إلى أعم من ذلك فقال : و الإشارة هنا إلى جميع آيات القرآن لا إلى ما في هذه السورة فقط (١٤٣) ، أي: يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أجمعه ،أي: إنّ هذه الأقوال المنصوصة فيها تذكرة (١٤٤) ، أي: موعظة(١٤٥) ، وعند البيانيين يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة إذا تعين طريقاً لإحضار المشار إليه في ذهن السامع بأن يكون حاضراً محسوساً ، ومن أغراضه تعظيم درجة المشار إليه بالقرب ، والتنبيه على أنّ المشار إليه المُعَقّب بأوصاف ،جدير لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة ، أو يكون لكمال العناية وتمييز المشار إليه أكمل تمييز (١٤٦) ، وكلها هنا محتملة .

وقوله تعالى : ((فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا)) ،إي: اتخذ بالطاعة – التي أهم أنواعها التوحيد – إلى ربه طريقاً توصله إلى الجنة (١٤٧) ، وهو مُتَضَمّنٌ معنى الوعد والوعيد وليس معناه إباحة الإيمان والكفر ولكنّه تحريض على الإيمان ، وما بعده تحذير من الكفر ، والسبيل هنا هو سبيل الخير والطاعة (١٤٨) .

والـ((تذكرة)) :اسم لمصدر الذكر بضم الذال ،الذي هو خطور الشيء في البال ،فالتذكرة :الموعظة ،لأنّها تذكر الغافل عن سوء العواقب ، وهذا تنويه بآيات القرآن وتجديد للتعريض على التَّدَبُّرِ فيهِ والتَّفَكُّرِ على طريقة التعريض (١٤٩) ، ويُؤتى بالمسند اسماً ظاهراً لإحضار معناه في ذهن السامع ابتداءً باسمه الخاص ليمتاز عما عداه ، وقد يُقصد بهِ أغراضاً أخرى تناسب المقام منها ،المدح أو الكناية عن معنى يصلح الاسم العلم لذلك المعنى بحسب معناه الأصلي قبل العلمية (١٥٠) ،ويُؤتى بالمُسند نكرة لإفادة التفخيم (١٥١) ، وهذا ما أُريد من الإخبار بالاسم الصريح مُنَكَّرَاً لكي يفيد المدح والكناية والتفخيم والعموم وليذهب فيه الذهن كل مذهب ، لذلك توسع في تفسيره المفسرون بين مخصص ومعمم .

وذهب المعربون في إعراب هذه الجملة إلى القول بالاستئناف النحوي(١٥٢) ، أي: جاءت بغرض جديد ومفصولة عما سبقها فلا تشكل جزءاً منه لذا فهي لا محل لها من الإعراب مستأنفة للتذييل ،((أي: تذكرة لمن يتذكر فإن كان من منكري البعث آمن به وإن كان مؤمناً استفاق من الغفلة التي تعرض للمؤمن فاستدرك ما فاته ، وبهذا العموم الشامل لأحوال المتحدث عنهم وأحوال غيرهم كانت الجملة تذييلا)) (١٥٣) ، ومعنى هذا النسق :إنّ هذه الآيات الناطقة بالوعيد الشديد ((تذكرة)) ،أي: موعظة ((فمن شاء)) ،أي: من أراد الاتعاظ اتعظ بها واتخذ إلى الله سبيلاً بالتقوى والخشية ، ومعنى اتخاذ السبيل إليه التقرب والتوسل بالطاعة(١٥٤) ، وتأكيد الكلام بحرف التوكيد ((إنّ)) ،لأنّ المواجهين به ابتداءً هم منكرون كون القرآن تذكرة وهدى فإنّهم كذبوا بأنّه من عند الله ووسموه بالسحر و الأساطير وغير ذلك (١٥٥) .

٧– ٨ : ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ)) (المزمل:٢٠) .

هذا النسق يحتوي على جملتين لـ ((إنّ)) و((أنّ)) مترابطتين إحداها كبيرة والأخرى صغيرة ألأولى عمدة ، والثانية منهما حلت محل فضلة ، وهما جملتان معناهما غير مكتمل

وبمجموعهما يكون للكلام معنى ، فإذا دخلنا إلى العمق وجدنا أن نسق الجملة الأولى ((إنّ ربّك يَعْلَمُ)) كالآتي :

إنّ + اسمها (اسم مضاف) + خبرها (جملة فعلية).

وإنّ نسق الجملة الثانية : ((أنّك تَقُومُ أدْنَى مِن ثُلُثَى اللَّيل)) كالآتي :

أنّ + اسمها (اسم مفرد) + خبرها (جملة فعلية) + مفعول به .

فـ((إنّ)) حرف توكيد ونصب ناسخ للجملة الاسمية ،و((رَبّ)):اسم ((إنّ)) منصوب ، وهو مضاف ، والضمير الكاف مضاف إليه ، و((يَعلَمُ)) فعل مضارع مرفوع بالضمة ، ، وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على ((رَبّ)) ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ((إنّ)) ، ولتعريف المسند إليه بالإضافة أغراضٌ كثيرةٌ ، منها أنّها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع ، ومنها التعظيم للمضاف ، أو للمضاف إليه (١٥٦) ،وقد يُراد بِهَا تشريف المضاف إليه والرعاية ، وإضافة الضمير هنا (الكاف) الذي يراد به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى ((ربّ)) يفيد التشريف والرعاية ، لانّ إيثار لفظة ((ربّ)) هنا على غيرها كـ (إله) ونحوها يُفيد الإشارة إلى الرعاية ،أي: رعاية الله سبحانه وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم والذين معه أثناء تقلبهم في العبادة ليلاً ،لأنّ الرب في اللغة يعطي معنى الرعاية وتدبير الأمور .

وإيثار الفعل المضارع للدلالة على الحدوث والتجدد،أي: يعلم فعلكم في أوقات الليل وأجزاءه وإنّ علمه سبحانه وتعالى مستمر لا يتوقف فهو ((...لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَ لَا نَوْمٌ...)) (البقرة:٢٥٥) ، وهو دائم العلم والمعرفة بأحوال عباده ، قال ابن عاشور: ((وإيثار الفعل المضارع ((يَعلَمُ)) للدلالة على استمرار ذلك العلم وتجدده وذلك إيذان بأنّه بمحل الرضى منه))(١٥٧) ،فالجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير بدون نظر إلى تجدد ولا استمرار لكنّها قد تخرج عن هذا الأصل فتفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن ، ومن هذه القرائن إذا كان خبرها فعلاً فإنّها تكون كالجملة الفعلية في إفادة التجدد والحدوث في زمن مخصوص (١٥٨) ، ومن فوائد الإخبار بالجملة الفعلية التأكيد وذلك لما في الجملة من تكرار الإسناد مرتين (١٥٩) .

والجملة الثانية ((أنّكَ تَقُومُ أَدْنَى)) جملة صغرى داخلة في الجملة التي سبقتها وحلت محل فضلة ، بتأويلها بمصدر يحل محل مفعولي ((يعلم)) ،ولذلك جاءت مفتوحة الهمزة لإمكان تأويلها بمصدر ، و بها يكتمل المعنى ، ولا غنى للكلام عنها فبدونها الكلام غير تام .

و((أنّ)) مؤكدة ناصبة لاسمها الضمير (الكاف) بعدها ، ومن أغراض الإتيان بالمسند إليه ضميراً كون الحديث في مقام التكلم أو في مقام الخطاب(١٦٠) ، والجملة الفعلية ((تقوم)) في محل رفع خبر((أنّ)) ،ينطبق عليها من البيان ما قدمناه في جملة ((يعلم)) الآنفة الذكر.

و((أدنى)) أصله أقرب من الدنو استُعير للأقل ،لأنّ المسافة التي بين الشيء والأدنى منه قليلة(١٦١) ، أي: أقل منهما وإنّما استُعير الأدنى وهو الأقرب ،لأنّ المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك(١٦٢) ، وإطلاق الأدنى على الأقل مجاز مرسل من قبيل إطلاق الملزوم على اللازم لما أنّ المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز والحدود ، وإذا بعدت كثر ذلك (١٦٣) ، والمعنى: زمان أقل منهما استعمل فيه الأدنى وهو اسم تفضيل من دنا إذا قرب لما أن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز فهو فيه مجاز مرسل ،لأنّ القرب يقتضي قلة الأحياز بين الشيئين فاستعمل في لازمه أو في مطلق القلة وجُوّز اعتبار التشبيه بين القرب والقلة ليكون هناك استعارة ، والإرسال أقرب (١٦٤) ، و((أدنَى)) منصوب على الظرفية لفعل ((تَقُومُ)) ،أي: تقوم في زمان يقدر أقل من ثلثي الليل وذلك ما يزيد على نصف الليل ، وهو ما اقتضاه قوله تعالى (١٦٥): ((أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ...)) (المزمل:٤).

وهذه الآية نزلت تخفيفاً لما كان استمرار استعماله من أمر قيام الليل إمّا على الوجوب وإمّا على الندب على الخلاف الوارد في تفسير هذه الآية (١٦٦) ، إنّ صدر هذه الآية إيماء إلى الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في وفائه بقيام الليل حق الوفاء ، وعلى الطائفة الذين تابعوه في ذلك ، فالخبر ((إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُوْمُ)) مراد به الكناية عن الرضى عنهم فيما فعلوه (١٦٧) وتأكيد الخبر بـ ((إنّ)) للاهتمام به ، وهو كناية عن أنّه صلى الله عليه وسلم قد أرضى ربه بذلك ، وتوطئة للتخفيف الذي سيذكر في قوله تعالى: ((فَتَابَ عَلَيْكُم)) (المزمل:٢٠) ، ليعلم أنّه تخفيف رحمة وكرامة ولإفراغ بعض الوقت من النهار للعمل والجهاد (١٦٨) .

أمّا الوظيفة البيانية والنحوية لهذه الجملة ، فقد قال المعربون: أنّها جملة مستأنفة(١٦٩) ، أي: مستقلة وليست جزءاً مما سبقها من الجمل جاءت ((مسوقة لإيضاح ما أجمل في أوّل السورة)) (١٧٠) ، والمعنى : ((إنّ الله تعالى يعلم أنّك تقوم أنت وغيرك من أمتك قياماً مختلفاً فيه ، مرّة يكثر ومرّة يقل ، ومرّة أدنى من الثلثين ،وذلك لعدم تحصيل البشر لمقادير الزمن مع عدم النوم وتقدير الزمان حقيقة إنّما هو لله تعالى ، وإنّما البشر فلا يحصي ذلك فتاب الله عليهم ، أي رجع بهم من الثقل إلى الجنة وأمرهم بقراءة ما تيسر من القرآن)) (١٧١) .

٩- ((عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ)) (المزمل:٢٠) .

((عَلِمَ)) فعل ماض مبني على الفتح ، وفاعله ضمير مقدر تقديره (هو) دلالته على الله تعالى ، و((أنْ)) هنا مفتوحة الهمزة لوقوعها في درج الكلام ، وإمكان تأويلها بمصدر ، وهي مخففة من الثقيلة ،أي حذفت إحدى نونيها وهي النون المتحركة المفتوحة وبقيت الساكنة منهما ، واسمها هنا ضمير الشأن محذوف ،أي علم أنه ، ويكون حذف المسند إليه عند البيانيين لمجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بناءً على وجود قرينة تدل على المحذوف ، ودواعي الحذف عندهم كثيرة أليقُها لهذا المقام هو إتباع الاستعمال الوارد على تركه (١٧٢) ، وذهب المخزومي إلى: إنّ (أن) في مثل هذه السياقات ليست للتأكيد وليست للنصب ، وإنّما استخدمتها اللغة كأداة وصل وواسطة تعبير لوضع الجمل بعدها موضع المفردات ،أي تجعل لها محلاً من الإعراب ، أو يجيء بها للوصل بين كلمتين لم يجز اتصالهما إلا بواسطة ، وليس الغرض منها إرادة المصدر كما يزعم النحويون ، وإنّما يقصد المتكلم به إلى الفعل قصداً ولمّا لم يجز وضع الفعل في موضع الفاعل ونحوه من المحل الإعرابي عمد لـ (أن) فاستخدمها واسطة ليكون للفعل الذي بعدها محلاً من الإعراب كالفاعلية ونحوه (١٧٣) ، ، و((لن)) يقول ابن يعيش: جيء به عوضاً عن الاسم الذي كان يجب أن يليها ، لأنّها هنا دخلت على فعل ، وهي من خصائص الجملة الفعلية ، فجيء به ليفصل بين ((أن)) والفعل ، أو جيء به عوضاً عن حذف نون (إنّ) إي: تخفيفها (١٧٤) ، ونرى في هذا السياق أن الفعل قُصِد قصداً- كما قال الدكتور المخزمي- ولا يُراد من الجملة الفعلية أن تحل محل خبر(أن) ، ولو قيل: إنّ (أن)هنا مؤكدة غير عاملة لكان أسلم للقواعد النحوية وللسياقات التي ترد فيها ، وهذا السياق واحد منها ، ولا حاجة للسياق هنا إلى تقدير ضمير شأن كما لا حاجة للسياق بجعل الجملة الفعلية في محل رفع خبر لـ(أن) أو تأويلها بمصدر هي وجملتها ، وإنّما المراد من السياق الفعل

((تُحصُوهُ)) هنا على حقيقته ودلالته على المستقبل ودلالة جملته على الاستمرار والتجدد وجيء بـ(لن) هنا لنفي قدرة الإحصاء في المستقبل ، وليس عوضاً عن تخفيف (أن) ، أو عوضاً عن حذف اسمها كما يرى النحويون ، فالفعل قُصِد قصداً وليس غيره .

و((لن)) حرفٌ نافٍ ناصب للفعل المضارع ((تُحصُوهُ)) بحذف نونه ، والواو فاعل ، والضمير الهاء مفعول به ، وجملة ((لن تُحصُوهُ)) في محل رفع خبر ((أنْ)) المخففة (١٧٥) ، على رأي المعربين ، وعلى ما تقدم من أقوال السلف يكون النسق كالآتي :

أن + اسمها (مقدر:ضمير الشأن) + خبرها (جملة فعلية) .

والنسق العام يكون كالآتي:

علم + جملة اسمية سدت مسد مفعولي علم من (أن + اسمها: ضمير شأن مقدر+ خبرها:جملة فعلية)

وعلى ما نراه يكون النسق كالآتي:

أن (ملغاة) + فعل (مضارع) + فاعل + مفعول به .

وهذا النسق الفعلي سد مسد مفعولي علم ، فيكون النسق العام كالآتي:

علم + أن (ملغاة) + جملة فعلية سدت مسد مفعولي علم (فعل مضارع + فاعل)

و((عَلِمَ)) يُراد به معرفة الله تعالى المطلقة بأمور خلقه ظواهرها وبواطنها ، ((وقد وقع الفصل بين ((أن)) وخبرها بحرف النفي لكون الخبر فعلا غير دعاء و لا جامد حسب المتبع في الاستعمال الفصيح)) (١٧٦) ، على ما قدمناه في مبحث التنظير .

و((تُحصُوهُ)) من الإحصاء ،وهو :إحاطة العلم باستقصاء العدد ،وهو مأخوذ من الحصى صغار الحجارة ،والحصى العدد الكثير شبه بحصى الحجارة لكثرتها (١٧٧) ، وحقيقته معرفة عدد شيء معدود مشتق من اسم الحصى جمع حصاة ، لأنّهم كانوا إذا عدّوا شيئاً كثيرًا

جعلوا لكل واحد حصاة ، وهو هنا مستعار للإطالة شُبّهَت الأفعالُ الكثيرة من ركوع وسجود وقراءة في قيام الليل بالأشياء الكثيرة المعدودة (١٧٨) ، وهو في اللغة مجاز مرسل علاقته الملازمة بين الحصى والشيء المعدود أو المُحْصَى فَسُمّي باسمه ، وأُكد المُسندُ هنا بثلاث مؤكدات هي ((أن)) على الرأي الغالب ، و((لن)) التي تفيد توكيد نفي المستقبل ، و الإخبار بالجملة التي تفيد تأكيد الحكم ، وذلك لما في الجملة من تكرار الإسناد مرتين (١٧٩) .

والضمير ((الهاء)) في ((تُحصُوهُ)) ، قيل :عائد على المصدر المفهوم من ((يُقَدّرُ)) ،أي: أن لن تحصوا تقدير ساعات الليل والنهار ، و لا تحيطوا بها على الحقيقة ، وقيل :الضمير يعود على القيام المفهوم من قوله تعالى (١٨٠) : ((فتَابَ عَلَيكُم)) ، ورجّح الآلوسي الأوّل بقوله : ((فإنّ الضمير لمصدر ((يُقَدّرُ)) لا للقيام المفهوم من الكلام ، والمعنى: علم أن الشأن لن تقدروا على تقدير الأوقات ، ولن تستطيعوا ضبط الساعات ولا يتأتى لكم حسابها بالتعديل والتسوية إلّا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم)) (١٨١) ، ((فَتَابَ عَلَيكُم)) (المزمل: ٢٠) ، وهي عبارة تدل على الترخيص في ترك القيام المقدر (١٨٢) ، وقال ابن عاشور: ((والضمير في ((تُحْصُوهُ))عائد إلى القيام المستفاد من (١٨٣) ((...أنك تَقُومُ ...)) ، والوجه أن يكون الخطاب في قوله تعالى ((تُحصُوهُ)) وما بعدها موجهاً إلى المسلمين الذين كانوا يقومون الليل إمّا على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب بعد قوله تعالى : ((... وَطَائِفَةٌ مِنَ الّذِينَ مَعَكَ...)) (المزمل:٢٠) ، وإمّا على طريقة العام المُراد به الخصوص بقرينة أنّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا يظن تعذر الإحصاء ، وبقرينة قوله تعالى : ((أن يكون منكم مرضى)) (المزمل:٢٠) .

والوظيفة النحوية لهذه الجملة – وفق أقوال السلف – هي إنّ (أن) وجملتها سادة مسد مفعولي ((علم)) إذ تقديره علم الله عدم إحصائكموه واقعاً ، وفُرّع على ذلك قوله تعالى (١٨٤): ((فتاب عليكم)) ، وعليه تكون جملة ((أن)) جملة صغرى داخلة في جملة كبرى هي جملة ((علم)) التي لا محل لها من الإعراب مستأنفة في حكم التعليل (١٨٥) ، أو هي في محل نصب حال من فاعل ((يقدر)) (١٨٦) .

١٠- ((عَلِمَ أنْ سَيَكُوْنُ مِنْكُم مَّرْضَى)) (المزمل:٢٠) .

قيل في إعرابها: إنّ ((عَلِمَ)) :فعل ماض مبني على الفتح ، وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو) عائد إلى الله سبحانه وتعالى ، و((أنْ)) مخففة من الثقيلة (١٨٧) ، حرف توكيد ناسخ

للجملة الاسمية ، ناصب للمبتدأ رافع للخبر ، اسمه ضمير الشأن مقدر، أي: (إنــه) (١٨٨) ، أو إنّ الشأن(١٨٩) ، و((سَيَكُوْنُ)) السين عوض عن تخفيف إنّ (١٩٠) ، وهو حــرف تنفــيس(١٩١) دلالته على المستقبل القريب إذا ما قيست دلالته بدلالة سوف التي تدل على الزمن الأبعد .

و((يكون)) فعل مضارع ناقص مرفوع ، وهو من نواسخ الجملة الاسمية رافع للمبتدأ ناصــب للخبر ، و((مِنْكُم)) قيل :شبه جملة متعلقة بخبر ((يَكُونُ)) المقدر المقدم ، أو هي خبره مقــدم في محل نصب (١٩٢) ، و لا حاجة للتقدير ، وقد حذف فاعل ((عَلِمَ)) للاختصار وللعلم بــه ، وجيء بالجملة الفعلية مسنداً ، أي خبراً لــ((أنْ)) لإفادة التوكيد ، وذلك لما في الجملــة مــن تكرار الإسناد مرتين ،كما هو مقرر عند أهل البيان (١٩٣) .

و((مرضى)) اسم ((يكون)) مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الألف (١٩٤) ، وجملــة ((سَيَكُوْنُ مِنْكُم مَّرْضَى)) في محل رفع خبر ((أنْ)) (١٩٥) ، والمصــدر المــؤول مــن ((أنْ سَيَكُوْنُ مِنْكُم مَّرْضَى)) سد مسد مفعولي ((عَلِمَ)) (١٩٦) ، أي :علم الله تعالى أن الشأن سيكون منكم مرضى (١٩٧) ، وعليه يمكن القول أنّ هذا التركيب قد حوي ثلاث جمل يمكن أن نسميها (عظمى وكبرى وصغرى) ،فالصغرى هي جملة ((سَيَكُوْنُ مِنْكُم مَّرْضَى)) لأنّها جزء مــن جملة ((أن)) الكبرى ((أن سَيَكُوْنُ مِنْكُم مَّرْضَى)) ، وهذه الجملة هي بدورها جزء من جملة ((علم)) العظمى : ((عَلِمَ أنْ سَيَكُوْنُ مِنْكُم مَّرْضَى)) ، وعليه يكون النسق العام كالآتي :

فعل (ماض) + فاعله (مقدر) + مفعوليه ((مصدر مؤول من : أن + اسمها (مقدر) + خبرهــا (جملة اسمية من :يكون + اسمه + خبره)) .

وعليه تكون جملة ((أن)) جزءًا من جملة أكبر منها جاءت لتأدية وظيفة نحوية بيانية ، هي أنّها سدت مسد مفعولي ((عَلِمَ)) الذي يحتاج إلى مفعولين ينصبهما ، وما قــدمناه فــي النسق الذي قبل هذا يصلح هنا من أنّ (أن) يمكن أن تكون مؤكدة غير عاملة ، دخلت علــى الجملة الفعلية فلا تحتاج إلى تقدير اسم (ضمير شأن) ، أو تقدير خبر من الفعل وجملته بعدها ، وإنّما المقصود من النسق هو الفعل ودلالته على الاستقبال ، وكذلك المقصود الجملة الفعلية ودلالتها على الحدوث والتجدد ، وأن هذه الجملة قد سدت مسد مفعولي علم ، وليســت جملــة (أن) الاسمية المزعومة ، كما ذهب إلى ذلك النحويون .

ويكون نسقها كالآتي:

علم (فعل ماض) + فاعله (مقدر) + أن ملغاة + جملة اسمية سدت مسد مفعولي علم من (فعل ناقص: مضارع+ اسمه + خبره) .

وهذا التركيب قيل: مستأنف استئنافاً بيانياً على تقدير السؤال عن وجه النسخ (١٩٨) ، أي: بيان لحكمة النسخ ، وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الأرض والمجاهدين في سبيل الله تعالى (١٩٩) ، أي: على ((تقدير هذه الآية كأنّه قيل: لِمَ نسخ الله ذلك ؟ فقال: لأنّه علم كذا وكذا ، والمعنى: لتعذر القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله)) (٢٠٠) ، وقيل:هي جملة استئنافية (٢٠١) ، يعني منفصلة صناعياً عما سبقها ، وقال ابن عاشور:هذه الجملة بدل اشتمال من جملة ((عَلِمَ أنْ لّن تُحْصُوهُ)) ، وهذا تخفيف آخر لأجل أحوال أخرى اقتضت التخفيف(٢٠٢) .

والمعنى العام: إنّ جملة ((عَلِمَ)) بيان لحكمة نسخ تعذر قيام الليل على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله (٢٠٣) ، وجملة ((أنْ سَيَكُونُ مِنْكُم مَّرْضَى)) اختصت ببيان العذر الأول ، وهو عذر المرض ، وإيثار الفعل المضارع فعل الكون مقترنا بالسين لإفادة دلالة علم الله تعالى المتجدد والمستمر ، وأكد ذلك بحرف التأكيد ((أن)) لتأكيد علمه سبحانه وتعالى بما سيكون في المستقبل الذي لا تعلمونه أنتم من الأعذار المستقبلية ،وهناك ملمح معنوي تركيبي في استخدام (إنّ) في هذه السورة ففي بداية السورة وهو بداية الأمر بالتكليف استخدمت (إنّ) المثقلة وفي نهاية السورة التي توالى فيها التخفيف استخدمت فيها (أن) المخففة فهو ثقل استخدم في موطن ثقل التكليف وتخفيف استخدم في موطن التخفيف وهو من مناسبة اللفظ للمعنى والله أعلم .

١١- ((إنّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيْمٌ))(المزمل:٢٠) .

((إنّ)) حرف توكيد ناسخ للجملة الاسمية ناصب للمبتدأ ورافع للخبر فسمي المبتدأ اسمه وسمي الخبر خبره ، و((اللهَ)) اسم الجلالة اسم ((إنّ)) منصوب (٢٠٤) ، وابتُدئ بالمفرد الصريح ، لأنّ حق المسند إليه أن يكون معرفة ، ولأنّه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوماً ، ليكون الحكم مفيداً ، ويؤتى بالمسند إليه علماً لإحضار معناه في ذهن السامع ابتداء باسمه الخاص ليمتاز عما عداه ، ويقصد به مع هذا أغراضاً أخرى تناسب المقام (٢٠٥)

وأنسبها هنا على ما نرى إرادة التعريف والتوضيح والتصريح ، وفيه دلالة على التعظيم لما يدل عليه هذا الاسم من عظمة .

و((غفورٌ)) خبر ((إنّ)) الأول مرفوع بالضمة الظاهرة ، و((رحيمٌ)) خبر ثان لـ ((إنّ)) مرفوع بالضمة الظاهرة (٢٠٦) ، ومن أغراض الإخبار بالنعت أنّه يفيد التوضيح والمدح (٢٠٧) ، وهو ما نراه مناسباً للسياق هنا ، وفائدة تعدد الخبر هنا هي تعداد صفات الذات العلية ، وأفاد هنا إيضاح صفتين عظيمتين من صفاته سبحانه وتعالى وهما: المغفرة و الرحمة ،وقد ناسباً أغراض السورة من التكليف بقيام الليل ثم نسخه بعد حين فناسبت صفة المغفرة الأمر بقيام الليل ،أي أمركم بالقيام ليغفر لكم ثم خفف عنكم بنسخ القيام رحمة منه تعالى بكم وهو ما ناسب صفة الرحمة .

والـ ((غفور)) و الـ ((رحيم)) صيغتا مبالغة للتفخيم (٢٠٨) ، ومعناهما : كثير المغفرة لمن استغفره وكثير الرحمة لمن استرحمه (٢٠٩) ، أي: غفورٌ لذنوب المؤمنين ورحيمٌ بهم (٢١٠) ، وفي حذف المفعول هنا دلالة العموم (٢١١) .

والوظيفة النحوية والبيانية لهذه الجملة الاسمية هي: إنّها لا محل لها من الإعراب تعليلية(٢١٢) للاستغفار أي: استغفروه في جميع أحوالكم فإنّ الإنسان مستهدف للتفريط (٢١٣) ، أو هي تعليل للأمر بالاستغفار الوارد في ما سبق من قوله تعالى : ((وَاسْتَغفِرُواْ اللهَ)) (المزمل:٢٠) ،لأنّ الله كثير المغفرة شديد الرحمة ، والمقصود من هذا التعليل الترغيب والتحريض على الاستغفار بأنّه مرجو الإجابة وفي الإتيان بالوصفين الدالين على المبالغة في الصفة إيماء إلى الوعد بالإجابة (٢١٤) ، واستخدام ((إنّ)) هنا أفاد تأكيد اتصاف اسمه بالخبرين ،واستخدام الجملة الاسمية دليل على الثبات ،أي: ثبات هذين الصفتين لله تعالى ،وثبات ما وعد به .

النتائج

بعد رحلة طيبة مع حرف من حروف العربية وخصائص جملته ، وبعد أن تتبعناه في مظانه اللغوية والقرآنية ، أي في (سورة المزمل) المكية ، وبعد أن تتبعنا أقوال العلماء والمفسرين في تلك المظان نُسطر هنا بعض الوقفات التي رأيناها تستحق أن تُسطّر سمّيناها بالنتائج ، هي في ما يأتي:

نتائج التنظير:

١- سُمّيت إنّ وأخواتها بالأحرف المُشبهة بالفعل ،لأنّها شابهت الفعل في البناء والمعنى والعمل.

٢- عَدّ سيبويه هذه الأحرف خمسة أحرف ،لأنّه عَدّ المفتوحة الهمزة فرعاً من المكسورة الهمزة ، وعدّها أغلب النحويين واللغويين ستة أحرف لما رأوه من اختلاف بين تركيبيهما وتركيب جملتيهما .

٣- من خصائص إنّ في العربية إنها تأتي مثقلة ومخففة ، والمخففة قد تعمل وقد تهمل ،والمثقلة كذلك قد تعمل وقد تهمل إذا اتصلت بها (ما) الكافة .

٤- من الناحية الوصفية يمكن أن نعدّ (إنّ) أربعة أحرف هي (إنّ) و(أنّ) و(إن) و(أن) استنادا على أشكالها وتراكيبها الواردة في اللغة ، واستنادا على خصائصها السياقية والدلالية .

٥- ومن خصائص إنّ إنّها قد تكسر همزتها وقد تفتح حسب موقعها من الكلام ، فإذا وقعت في بدء الكلام حقيقة أو حكما فإنّها تكسر ، وإذا وقعت في وسطه أو الدرج أو إذا أمكن تأويلها مع جملتها بمصدر فإنّها تفتح .

٦- مذهب جمهور النحاة في (أن) المخففة المفتوحة الهمزة أنّها عاملة كالمشددة ، واسمها ضمير محذوف ، لا يجوز إظهاره إلا في الضرورة ، وهذا فيه تكلف ، ومذهب سيبويه والكوفيين أنّها مؤكدة مهملة ، لا تعمل شيئا لا في ظاهر ولا في مضمر ، وهي عندهم حرف مصدري ، كسائر الأحرف المصدرية ، وترى دراستنا هذه أنها مؤكدة مهملة ،وليست حرفا مصدريا ، وهي كـ(إن) إذا أهملت ، ودليل إهمالها دخولها على الجملتين الاسمية والفعلية ، غير أنها لا يراد منها التأويل مع جملتها بالمصدر بل يراد حقيقة ما يأتي بعدها من جمل وإرادة دلالات تلك الجمل حقيقة وعدم إرادة دلالة المصدر لاختلاف الدلالتين ، ولاسيما الفعلية منهما فالفعل يقصد قصدا لدلالته على الحدوث والتجدد ، كما أن الجملة الاسمية تدل على الثبوت ، وهما بخلاف دلالة المصدر الذي يدل على الحدث بلا دلالة تجدد أو ثبوت ، والألفاظ في العربية ولاسيما القرآنية منها تقصد قصدا بذواتها لا بغيرها .

٧- جوّزَ العلماءُ حذف اسم إن أو خبرها ويكون ذلك حسب توفر القرينة وحسب خصائص أنواعها من كسر همزتها أو فتحها ، أو حسب تثقيل نونها أو تخفيفها .

٨- جوّزَ العلماء العطف على اسم إنّ بعد اكتمال جملتها إمّا بالنصب على اسم إنّ المنصوب أو بالرفع على موضع اسم إنّ قبل دخولها ، أو بالرفع على الاستئناف وهو الراجح لديهم .

نتائج التطبيق:

وردت إنّ بأشكال متنوعة في (سورة المزمل) في إحدى عشرة جملة نَصِفُهَا بعد الاستقراء بالتالي:

١- ثماني منها مثقلة النون ، مكسورة الهمزة (إنّ) .

٢- واحدة منها مثقلة النون ، مفتوحة الهمزة (أنّ) .

٣- اثنتان منها مخففة النون ، مفتوحة الهمزة (أن) .

٤- تنوعت عمد جملة إنّ ، أي تنوعت أشكال اسمها وخبرها بين الإفراد و الإضافة وشبه الجملة والجملة وبين تقدير وذكر وتقديم وتأخير ، مما أدى إلى تنوع معنى الجمل وسعة دلالتها .

٥- (أن) المخففة إذا دخلت على جملة فعلية فالأولى عدها مؤكدة ملغاة أي غير عاملة ،فذلك أفضل من تطويع الجملة لها وإثقالها بالتقدير لإجبارها على جعلها جملة اسمية وهي في الحقيقة بعيدة كل البعد عن أن تكون اسمية فهي جملة فعلية بكل اعتباراتها والفعل فيها قصد قصدا وله دلالة مقصودة لا تحل محله الجملة الاسمية ، فلا حاجة لتقدير اسمها بضمير الشأن وإعراب الجملة الفعلية بعدها في محل رفع خبر لـ (أن) ،فلو جعلنا لـ(أن) الداخلة على الجملة الفعلية حالتين هما الإعمال والإهمال ،أسوة بأختها الداخلة على الجملة الاسمية من الإعمال والإهمال لكان أسهل على الدارسين وأكثر واقعية للنحو العربي .

٦- القرآن حمال أوجه في معاني مفرداته ومعاني تراكيبه ، فنجد للمفردة أكثر من معنى يؤدي بدوره إلى اختلاف معنى الجملة ، ونجد للجملة أكثر من توجيه ، فيختلف بحسب هذا التوجيه نسق الجملة وتركيبها ، فيتسع معنى الآية حسب جملها المحتملة .

٧- ومن جهة دلالتها ودلالة جملها :

* - فقد اختصت الجملة الأولى بتأكيد خبر التكليف بالرسالة ، أي إخبار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنّه سيُلقى عليه قولاً ثقيلاً ، ووصف هذه الرسالة بالقول الثقيل يحتمل أن يكون المراد به القرآن الكريم ، أو ما اشتملت عليه الشريعة الإسلامية من تكاليف .

* - واختصت الجملتان الثانية والثالثة بتأكيد الإخبار والتنبيه على مواطن العبادة وأوقاتها أو التكليف بها ، وهو مما يهيئ نفسه صلى الله عليه وسلم لتلقي التكليف الثقيل .

*- واختصت الجملتان الرابعة والخامسة بالتهديد إذ جاءت الرابعة لتأكيد خبر مواطن الأنكال والجحيم ، وهو ما يؤول إلى التهديد بعذاب المكذبين ، بينما اختصت الخامسة بتأكيد الإخبار عن إرسال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى قومه وتمثيله إرساله بإرسال موسى عليه

السلام إلى فرعون ، وهو يتضمن تهديداً واضحاً بأنّ المكذبين سيكون مصيرهم كمصير فرعون الذي عذب بسبب تكذيبه لرسوله .

*- واختصت السادسة بتأكيد خبر أنّ القرآن الكريم تذكرة لمن كان يشك بخلاف ذلك ولمن أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلاً .

*- واختصت الجملتان السابعة والثامنة بتأكيد الإخبار عن علمه تعالى بأحوال نبيه وأحوال من اتبعه قي تأدية عبادة قيام الليل التي كُلفوا بها أوّل الأمر وتفاوتهم في قيام أوقات الليل .

* - واختصت الجملتان التاسعة والعاشرة بالتخفيف عن العباد في العبادة ، إذ اختصت التاسعة بتأكيد علمه تعالى بعدم قدرة العابدين في إحصاء أوقات الليل للعبادة فكان ذلك سبباً في توبته عليهم والتخفيف عنهم ، فأمر تعالى بقراءة ما تيسر من القرآن ، واختصت العاشرة بتأكيد علمه تعالى بأن سيكون من المؤمنين مرضى ومسافرين في الأرض طلباً للرزق وآخرين يجاهدون في سبيل الله تعالى ، فأمرهم تعالى كذلك بقراءة ما تيسر من القرآن تخفيفاً عنهم وهذان الآيتان هما تخفيف عن العباد بعد الأمر بقيام الليل ،وناسب تخفيف (أن) فيهما حكم التخفيف في العبادة .

* - واختصت الجملة الحادية عشرة بالوعد بالمغفرة والرحمة للعبيد وثبات هذا الوعد ، لأنّه عُبّر عنه بالجملة الاسمية .

*- والإكثار من التأكيد في بداية هذه السورة يعود إلى كونها مكيّة ، لأنّ المخاطبين بها ابتداءً هم قريش وأهل مكة في بداية الدعوة ، ومن المعلوم أنّهم أنكروا النبوة وتصدوا للدعوة في بداية الأمر فناسب التأكيد إنكارهم ، أمّا التأكيد في نهاية السورة فقد اختص بالمؤمنين ليؤكد لهم أن الله عالم بأحوالهم مطلع عليهم غفور لهم ورحيم بهم ، فالنوع الأول من التأكيد - الذي في بداية السورة - عني به تأكيد لمنكر ، والنوع الثاني منه -الذي في نهاية السورة - عني به تثبيت لمُصدّق وترغيب لطامع بالمغفرة .

الهوامش

١) دلائل الإعجاز في علم المعاني :٢١٤ .
٢) ينظر : كتاب سيبويه: ١٣١/٢ .
٣) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٣٤٦/١ .
٤) ينظر : شرح الكافية الشافية :٤٨٢/١ .
٥) ينظر : شرح المفصل :٨/ ٥٤ ، والنحو الشافي الشامل :٢٩٣ .
٦) ينظر : كتاب سيبويه: ٢/ ١٣١
٧) ينظر :جامع الدروس العربية : ٢ / ٣٦٦ والتطبيق النحوي: ١٤٢ .
٨) ينظر : شرح ابن عقيل : ٣٤٨/١ .
٩) ينظر: كتاب سيبويه : ٢ / ١٣١.
١٠) ينظر : النحو الشافي الشامل : ٢٩٤ .
١١) الجنى الداني في حروف المعاني : ٣٨٧ .
١٢) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني : ٣٨٧ .
١٣) في النحو العربي ، نقد وتوجيه : ٣١٧ – ٣١٨ .
١٤) في النحو العربي ، نقد وتوجيه : ٢٣٢ .
١٥) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني : ٣٥٣ .
١٦) ينظر : النحو الشافي الشامل : ٣٠٤
١٧) ينظر في ذلك: الجنى الداني في حروف المعاني :٣٨٨ –٣٩٥ والتطبيق النحوي: ١٤٨ –١٥٦ ، والسهل في النحو والصرف:٨٣–٨٤ والنحو الشافي:٢٩٤ –٣٠٠ .
١٨) الجملة الاسمية :٢٠٠ .
١٩) ينظر: شرح المفصل: ٧٨/٨ – ٧٩.
٢٠) ينظر في ذلك:شرح المفصل :٨/ ٧١ – ٧٩ ،والتطبيق النحوي:١٥٩ – ١٦٤ ، والنحو الشافي الشامل:٣٠٤ –٣٠٦ ، والجملة الاسمية:٢٠٦– ٢٢١٠ .
٢١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني : ٣٧٩ .
٢٢) ينظر:النحو الشامل: ٣٠٧ .

٢٣) ينظر:النحو الشافي الشامل:٣٠٤ –٤٠٥ .
٢٤) ينظر:الجملة الاسمية:٢٠٨ – ٢١٠ .
٢٥) ينظر: الكنز في القراءات العشر : ٥٧٧/٢ .
٢٦) ينظر: أوضح المسالك الى الفية ابن مالك : ٣٥٦/١– ٣٦٠ والجملة الاسمية:٢٠٨ – ٢١٠ .
٢٧) ينظر:جامع الدروس العربية :٣٨٢/٢ .
٢٨) ينظر:الجنى الداني في حروف المعاني:٢٣٨ وجامع الدروس العربية :٣٨٢/٢ .
٢٩) ينظر: جامع الدروس العربية :٣٨٢/٢ .
٣٠) الجملة الاسمية :١٨٣.
٣١) الجملة الاسمية :١٨٣.
٣٢) ينظر: جامع الدروس العربية :٢ / ٣٦٨ والتطبيق النحوي : ١٦١ .
٣٣) ينظر: شرح المفصل: ٨/ ٧٤– ٧٥ .
٣٤) كتاب سيبويه:١٤١/٢.
٣٥) ينظر: كتاب سيبويه :١٤١/٢.
٣٦) ينظر: شرح الكافية الشافية :١/ ٤٧٥ – ٤٧٧ ، النحو الشافي الشامل :٣٠٠ ، وجامع الدروس العربية:٣٦٨/٢ ، والجملة الاسمية: ١٨٧–١٨٨ .
٣٧) ينظر:جامع الدروس العربية:٣٦٩/٢ ، والسهل في النحو والصرف :٨١ .
٣٨) ينظر: النحو الشافي الشامل:٣٠٠–٣٠١ ، والسهل في النحو والصرف :٨١ .
٣٩) هذا البيت من شواهد سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها ،ينظر:كتاب سبويه:١٣٣/٢ ،ومنحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل:٣٤٩/١ .
٤٠) ينظر: جامع الدروس العربية :٣٦٩/٢ .
٤١) ينظر: شرح المفصل: ٨ /٧٨ .
٤٢) ينظر: الجنى الداني : ٣٨٣.
٤٣) ينظر: شرح المفصل: ٨ /٧٨ .
٤٤) ينظر: الجنى الداني :٣٨١ .
٤٥) الأصمعيات :١٨٤ .
٤٦) ينظر: جامع الدروس العربية :٣٧٥/٢ ، والنحو الشافي الكافي:٣٠٤–٣٠٥ . .

٤٧) ينظر: جامع الدروس العربية :٢/٢٧٥ .
٤٨) ينظر: إعراب القرآن الكريم الميسر: ٥٧٤.
٤٩) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع :١٣٧ –١٣٩.
٥٠) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: ١٥/١٣٣ .
٥١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني):١٢٢ .
٥٢) ينظر: جواهر البلاغة : ٨١ – ٨٢ .
٥٣) ينظر: جواهر البلاغة : ١٦٨ .
٥٤) التحرير والتنوير :٢٩/٢٤٣ .
٥٥) ينظر: البحر المحيط : ٨/٥٠٥ .
٥٦) ينظر: روح المعاني :٢٩/ ١٦٤ .
٥٧) ينظر: تفسير الرازي : ٣٠ / ٦٨٤ .
٥٨) دلائل النبوة للبيهقي :٧/٥٣ ،وصححه الحاكم ووافقه الذهبي،ينظر:تحقيق فتح القدير:٥/٣١٣ –٣١٤.
٥٩) صحيح البخاري : ٦/٤٧ ، برقم : ٤٥٩٢ ، و ٤/٤٥ ، برقم :٢٨٣٢ .
٦٠) ينظر: البحر المحيط : ٨/ ٥٠٥ .
٦١) ينظر: البحر المحيط : ٨ / ٥٠٥ .
٦٢) ينظر: الكشاف :٢٩/٧٣ .
٦٣) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٢٤٣ .
٦٤) ينظر: روح المعاني : ٢٩ / ١٦٥ .
٦٥) ينظر: جواهر البلاغة : ١٤٧ – ١٤٨ .
٦٦) ينظر: الجدول : ١٥/١٣٤.
٦٧) العين : ٦/٢٨٧ – ٢٨٨ .
٦٨) ينظر: تفسير الرازي : ٣٠ / ٦٨٤.
٦٩) ينظر: تفسير البحر المحيط : /٥٠٥.
٧٠) ينظر: الجدول : ١٥/ ١٣٤ .
٧١) ينظر: جواهر البلاغة : ١٧٦ .
٧٢) ينظر: الدر المصون : ٦ /٤٠٤.

٧٣) ينظر: الدر المصون : ٦ /٤٠٤.
٧٤) ينظر: الكشاف : ٧٣/٢٩ ، وروح البيان : ٢١١/١٠ .
٧٥) ينظر: روح البيان : ٢١١/١٠ .
٧٦) ينظر: روح المعاني : ٢٩ / ١٦٥ .
٧٧) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٤٥/٢٩ .
٧٨) ينظر: فتح القدير: ٥/ ٣١٤ و المحرر الوجيز : ٣٨٧/٥ و البحر المحيط : ٥٠٥/٨ .
٧٩) ينظر: البرهان في إعراب القرآن: ٤٤٠/٦ .
٨٠) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٤٥/٢٩ .
٨١) ينظر: إعراب القرآن للدرويش : ١١٢/٨ .
٨٢) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٤٤/٢٩ .
٨٣) ينظر: الجدول : ١٥/ ١٣٤.
٨٤) ينظر: الإعراب المرئي للقرآن الكريم : ٦ /١٥٧٥ .
٨٥) ينظر: الجدول: ١٥/ ١٣٤ ، والإعراب المرئي :٦ / ١٥٧٥ .
٨٦) ينظر: البرهان : ٦ /٤٤٠ .
٨٧) ينظر: العين : ٣/ ١٥٣ و الجدول :١٣٤/١٥ .
٨٨) ينظر: روح المعاني : ٢٩ /١٦٦ .
٨٩) روح المعاني : ٢٩ /١٦٦ .
٩٠) صحيح مسلم : ٥١٥/١ ، برقم:١٤٢ – (٧٤٧) .
٩١) ينظر :المحرر الوجيز : ٢٩ / ٣٨٨ ، و روح البيان: ٢١٢/١٠.
٩٢) ينظر :فتح القدير: ٥ / ٣١٤ .
٩٣) الكشاف : ٢٩ /٧٣ .
٩٤) ينظر البحر المحيط : ٨ /٥٠٦ .
٩٥) الجدول : ١٣٤/١٥ .
٩٦) ينظر التحرير والتنوير : ٢٩ /٢٤٧.
٩٧) ينظر:إعراب القرآن الميسر:٥٧٤ .
٩٨) ينظر: البرهان في إعراب القرآن : ٤٤٠/٦ ، وإعراب القرآن للدرويش: ٨ /١١٢ .
٩٩) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٢٤٧.

١٠٠) ينظر: البرهان في إعراب القرآن : ٦ /٤٤٠ .
١٠١) ينظر:الإعراب المرئي:٦ / ١٥٧٥ .
١٠٢) ينظر:الجدول :١٣٤/١٥ ، وإعراب القرآن الميسر:٥٧٤.
١٠٣) ينظر:التحرير والتنوير: ٢٤٦/٢٩.
١٠٤) ينظر:الجدول : ١٣٤/١٥ وإعراب القرآن الميسر:٥٧٤.
١٠٥) ينظر:البرهان في إعراب القرآن: ٤٤٠/٦ .
١٠٦) ينظر:المحرر الوجيز: ٥ /٣٨٩ ، والدر المصون: ٦ /٤٠٧ ، والتحرير والتنوير: ٢٥٣/ ٢٩.
١٠٧) ينظر:المحرر الوجيز: ٥ /٣٨٩.
١٠٨) ينظر:جواهر البلاغة :١٦٦–١٦٧ .
١٠٩) ينظر:جواهر البلاغة :١٤٧ – ١٤٨ .
١١٠) ينظر: العين :٥/ ٣٧١ .
١١١) ينظر:الكشاف : ٧٣ .
١١٢) ينظر:البحر المحيط: ٨ / ٥٠٧ ، والدر المصون: ٦ / ٤٠٧ .
١١٣) ينظر:روح البيان : ١٠ /٢١٦.
١١٤) ينظر:روح البيان : ١٠ /٢١٦.
١١٥) ينظر:الجدول: ١٥/ ١٣٧ ، والإعراب المرئي:١٥٧٥/٦.
١١٦) ينظر:روح المعاني: ٢٩/ ١٦٨ .
١١٧) ينظر:روح البيان : ١٠ /٢١٦.
١١٨) ينظر:التحرير والتنوير: ٢٥٢/ ٢٩ .
١١٩) ينظر: إعراب القرآن الكريم الميسر: ٥٧٤ .
١٢٠) ينظر:إعراب القرآن الميسر: ٥٧٤.
١٢١) ينظر: الجدول: ١٣٨/١٥ ، وإعراب القرآن للدرويش:٨/ ١١٧ .
١٢٢) ينظر: جواهر البلاغة : ١٣٧ – ١٣٨ .
١٢٣) ينظر: جواهر البلاغة : ٨٢ .
١٢٤) فتح القدير: ٥ /٣١٦.
١٢٥) ينظر: روح البيان: ١٠ /٢١٧.

١٢٦) المحرر الوجيز : ٥ /٣٨٩ .
١٢٧) التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٥٤.
١٢٨) ينظر: التحرير والتنوير:٢٩ /٢٥٥ .
١٢٩) ينظر: روح البيان : ١٠ /٢١٧ .
١٣٠) ينظر: روح المعاني : ٢٩ /١٦٩.
١٣١) ينظر: الكشاف : ٧٤ ، والبحر المحيط : ٨ /٥٠٨ ، وتفسير الرازي: ٣٠ /٢٩١.
١٣٢) المحرر الوجيز : ٥ /٣٨٩.
١٣٣) ينظر: روح البيان : ١٠ /٢١٧.
١٣٤) ينظر: الجدول : ١٣٨/١٥ ، وإعراب القرآن الميسر:٥٧٤ ، والإعراب المرئي: ٦ / ١٥٧٧.
١٣٥) ينظر: إعراب القرآن للدرويش: ٨ /١١٧.
١٣٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٥٤.
١٣٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٥٨.
١٣٨) ينظر: إعراب القرآن للدرويش: ٨ /١١٨.
١٣٩) ينظر: تفسير الرازي: ٣٠ /٦٩٣ .
١٤٠) ينظر: المحرر الوجيز: ٥ /٣٩٠.
١٤١) ينظر: روح البيان : ١٠ / ٢٢٠ ، و روح المعاني: ٢٩/ ١٧٢ .
١٤٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٥ /٣٩٠ .
١٤٣) ينظر: فتح القدير: ٥ /٣١٨ .
١٤٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٥ /٣٩٠ ، والبحر المحيط: ٨ /٥١٠ .
١٤٥) ينظر: البحر المحيط: ٨ /٥١٠ .
١٤٦) ينظر: جواهر البلاغة :١٤٠ – ١٤٢.
١٤٧) ينظر: فتح القدير: ٥ /٣١٨.
١٤٨) ينظر: المحرر الوجيز: ٥ /٣٩٠ ، و التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٥٩.
١٤٩) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٥٩ .
١٥٠) ينظر: جواهر البلاغة :١٤٠ و١٦٠ .
١٥١) ينظر: جواهر البلاغة :١٦٦.

١٥٢) ينظر: الجدول: ١٤١/١٥ ، وإعراب القرآن الميسر:٥٧٤ ، والإعراب المرئي:٦/ ١٥٧٧.

١٥٣) ينظر: التحرير والتنوير:٢٩ /٢٥٨ .

١٥٤) ينظر: الكشاف: ٧٤ .

١٥٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٥٨ .

١٥٦) ينظر: جواهر البلاغة: ١٤٧ – ١٤٨.

١٥٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٦٢ .

١٥٨) ينظر: جواهر البلاغة : ٨١ – ٨٢ .

١٥٩) ينظر: جواهر البلاغة : ١٦٨ .

١٦٠) ينظر: جواهر البلاغة : ١٣٨ .

١٦١) ينظر: الكشاف: ٧٤ ، والتحرير والتنوير: ٢٩ /٢٦٢ .

١٦٢) ينظر: الكشاف: ٧٤ ، والبحر المحيط: ٨ /٥١٠ ، وتفسير الرازي: ١٠ /٦٩٤ ، وفتح القدير: ٥/ ٣١٨ .

١٦٣) ينظر: روح البيان : ١٠ /٢٢٠ – ٢٢١.

١٦٤) ينظر: روح المعاني: ٢٩ /١٧٣ ، والجدول: ١٥/ ١٤٥ .

١٦٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٦٢ .

١٦٦) ينظر: البحر المحيط: ٨ / ٥١٠ .

١٦٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٦٣.

١٦٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٦١ .

١٦٩) ينظر: الجدول: ١٤٣/١٥ ، وإعراب القرآن للدرويش:١١٩/٨ ، وإعراب القرآن الميسر:٥٧٥ ، والإعراب المرئي:٦/ ١٥٧٧ .

١٧٠) إعراب القرآن للدرويش: ٨ / ١١٩.

١٧١) المحرر الوجيز: ٥ /٣٩٠ .

١٧٢) ينظر: جواهر البلاغة: ١٣١ – ١٣٣ .

١٧٣) .ينظر: في النحو العربي ، نقد وتوجيه:٣١٢ – ٣١٨ .

١٧٤) ينظر:شرح المفصل: ٨/٧٤-٧٥ . .

١٧٥) ينظر:الياقوت والمرجان: ٥٨٣ ، والبرهان في إعراب القرآن: ٤٤٣/٦ ، والتحرير والتنوير: ٢٩ /٢٦٤ ، وإعراب القرآن للدرويش: ١١٩/٨ ، وإعراب القرآن الميسر:٥٧٥ .

١٧٦) التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٦٤ .

١٧٧) ينظر :العين :٢٦٧/٣ – ٢٦٨ .

١٧٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٦٤ .

١٧٩) ينظر: جواهر البلاغة: ١٦٨ .

١٨٠) ينظر: البحر المحيط: ٨ /٥١١ .

١٨١) روح المعاني: ٢٩ /١٧٣ .

١٨٢) ينظر: الكشاف :٧٤ .

١٨٣) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٩ /٢٦٤.

١٨٤) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٩ /٢٦٤.

١٨٥) ينظر: الجدول: ١٤٤/١٥ ، والإعراب المرئي:٦/ ١٥٧٧ .

١٨٦) ينظر: الجدول:١٤٤/١٥ ، وإعراب القرآن الميسر: ٥٧٥ .

١٨٧) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١٢٤٨ .

١٨٨) ينظر: المحرر الوجيز: ٥ /٣٩١ ، والياقوت والمرجان:٥٨٣ .

١٨٩) ينظر: روح البيان:١٠ /٢٢٣ .

١٩٠) ينظر: المحرر الوجيز:٢٩ /٣٩١ ، والتبيان في إعراب القرآن:٢/ ١٢٤٨.

١٩١) ينظر: البرهان في إعراب القرآن: ٤٤٣/٦ .

١٩٢) ينظر: البرهان في إعراب القرآن: ٦ /٤٤٣ ، وإعراب القرآن للدرويش: ٨ /١٢٠.

١٩٣) ينظر: جواهر البلاغة: ١٦٨ .

١٩٤) ينظر: روح المعاني : ٢٩ / ١٧٧.

١٩٥) ينظر: الياقوت والمرجان: ٥٨٣ .

١٩٦) ينظر: إعراب القرآن الميسر:٥٧٥ ، والإعراب المرئي: ٦ / ١٥٧٧ .

١٩٧) ينظر: روح المعاني : ٢٩ / ١٧٧.

١٩٨) ينظر: الكشاف: ٧٤.

١٩٩) ينظر: البحر المحيط: ٨ /٥١١ .

٢٠٠) ينظر: تفسير الرازي: ١٠ /٦٩٥.

٢٠١) ينظر:الجدول: ١٤٤/١٥ ، و إعراب القرآن الميسر:٥٧٥ ، والإعراب المرئي: ٦ / ١٥٧٧.

٢٠٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٦٥ .

٢٠٣) ينظر: البحر المحيط: ٨ /٥١١ ، وتفسير الرازي:١٠ /٦٩٥ .

٢٠٤) ينظر: الجدول:١٤٤/١٥ .

٢٠٥) ينظر: جواهر البلاغة:١٣٧ – ١٤٠ .

٢٠٦) ينظر: إعراب القرآن للدرويش:٨ /١٢١.

٢٠٧) ينظر: جواهر البلاغة: ١٧٢ –١٧٣ .

٢٠٨) ينظر: البرهان في إعراب القرآن: ٦ /٤٤٣ .

٢٠٩) ينظر: فتح القدير: ٥ /٣٢٠ .

٢١٠) ينظر: تفسير الرازي: ١٠ /٦٩٥ .

٢١١) ينظر: روح المعاني: ٢٩ /١٧٨ .

٢١٢) ينظر:الجدول: ١٤٤/١٥ ، وإعراب القرآن الميسر:٥٧٥ .

٢١٣) ينظر:إعراب القرآن للدرويش: ٨ /١٢١.

٢١٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ /٢٧٠ .

قائمة المصادر والمراجع

- – الأصمعيات ،أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع ،تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ،دار المعارف ،مصر ،الطبعة السابعة –١٩٩٣م .
- إعراب القرآن الكريم وبيانه ، أ.محيي الدين الدرويش ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ،حمص – سورية ، الطبعة التاسعة :١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م .
- – إعراب القرآن الكريم الميسر ، أ.د. محمد الطيب الإبراهيم ، دار النفائس ،بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة : ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
- – الإعراب المرئي للقرآن الكريم ، لأبي فارس الدحداح ، الدار العربية للعلوم ،بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى :١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

- أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ،لعبد الله بن يوسف بن هشام ،تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، الطبعة الأولى .
- البرهان في إعراب آيات القرآن ، أحمد ميقري بن أحمد حسين الأهدلي ،المكتبة العصرية ،صيدا – بيروت ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
- – البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، د.فاضل حسن عباس ، دار النفائس ، عمان – الأردن ، الطبعة الثانية عشر :١٤٢٩هـ – ٢٠٠٩م .
- – التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ،تحقيق:علي محمد البجاوي ،دار إحياء التراث العربي ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .
- تفسير البحر المحيط ،أثير الدين محمد بن يوسف الشهير بابي حيان ،تحقيق:عبد الرزاق المهيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى :١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .
- – تفسير التحرير والتنوير ،المعروف بتفسير ابن عاشور ، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ،مؤسسة التأريخ ،بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م .
- – التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الرابعة : ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- – تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ،بعناية وتخريج :خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى :١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
- – جامع الدروس العربية ، للشيخ مصطفى الغلاييني ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى .
- – الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ،مع فوائد نحوية هامة ، محمود صافي ، الطبعة الأولى:١٤١١هـ – ١٩٩١م .
- الجملة الاسمية ، د.علي أبو المكارم ،دار غريب ، القاهرة – مصر: ١٤٣٢هـ –٢٠١١م .
- – الجنى الداني في حروف المعاني ، لحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق: طه محسن ،مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، للسيد أحمد الهاشمي ، تحقيق وشرح:د.محمد التونجي ،مؤسسة المعارف ، بيروت– لبنان ، الطبعة الرابعة : ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٨م .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،للإمام شهاب الدين أبي العباس بن محمد المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين ،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى:١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
- – دلائل الإعجاز في علم المعاني ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني ،تحقيق:د.عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى:١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ،أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى:١٤٠٥ هـ .
- روح البيان في تفسير القرآن ، للإمام اسماعيل حقي بن مصطفى البروسوي ،تخريج وتصحيح: عبد اللطيف حسين عبد الرحمن ،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى:٢٠٠٣ – ١٤٢٤م .
- – روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، لشهاب الدين محمد الآلوسي ، بعناية وتعليق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي ،دار إحياء التراث العربي ،مؤسسة التاريخ العربي ،بيروت – لبنان :١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
- – السهل في النحو والصرف ، كامل محمد محمد عويضة ، أطلس للنشر والتوزيع ، الجيزة – مصر ، الطبعة الأولى :٢٠١٢م .
- – شرح ابن عقيل ،بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ،القاهرة ،الطبعة العشرون :١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
- – شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ، عالم الكتب ،بيروت – لبنان ومكتبة المتنبي القاهرة .
- صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل البخاري ،تحقيق:محمد زهير بن ناصر ،دار طوق النجاة ،الطبعة الأولى :١٤٢٢ هـ .
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

- فتح القدير،الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق:د.عبد الرحمن عميرة ،لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء .
- في النحو العربي ،نقد وتوجيه ، د.مهدي المخزومي ،دار الرائد العربي،بيروت – لبنان، الطبعة الثانية:١٤٠٦- ١٩٨٦م .
- كتاب العين ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ،تحقيق: د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي ،دار ومكتبة الهلال .
- الكتاب ،عمر بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي – القاهرة ،الطبعة الثالثة :١٤٠٨ – ١٩٨٨م .
- الكنز في القراءات العشر ، أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي المقريء ،تحقيق: د.خالد المشهداني ،الناشر:مكتبة دار الثقافة الدينية – القاهرة ،الطبعة الأولى :١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ،تحقيق:عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية :١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .
- النحو الشافي الشامل ، أ.د .محمد حسني مغالسة ،دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، الطبعة الثالثة :١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .
- الياقوت والمرجان في إعراب القرآن ، محمد نوري بن محمد بارتجي ،دار الاعلام ،عمان – الأردن ،الطبعة الأولى:١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .